

و نبيد فاروق

وايات همزية للجيب

رجل المستحيل

المحترفون

144

www.liilas.com/vb3

^RAYAHEEN^





د. فيصل فاروق

٢٠٠٧ / ١١ / ٢٤

المحترفون

- ما حقيقة خبر مصرع (أدهم صبرى) ، وسط رجال (كارولينا) فى (نيويورك) ١٩ ..
- ما مصير (عماد) ، وأين أخفى بطاقة التسجيل الرقمية ، التى تكشف لعبة الإسرائيليين ١٩ ..
- ترى هل تحصل (مصر) على تلك الأوراق السرية ، أم يخسر (المحترفون) ١٩ ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..

**رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب**

**زافرة
بنت
المشيرة**

144



العدد القادم (الورقة الأخيرة)



www.liilas.com/vb3

^RAYAHEEN^

١- الشيطان ..

انطلقت تنهيدة عميقة ، من أعماق صدر طبيب السفارة الإسرائيلية ، في قلب العاصمة الإيطالية (روما) ، وهو يجفف العرق الغزير ، المتصبب على وجهه ، على الرغم من برودة الطقس ، وأشار إلى جسد رجل المختبرات المصري (عماد رامت) ، الغارق في غيبوبة عميقة ، داخل حجرة عناية مركزة سرية ، في قبو مبنى السفارة ، وهو يقول في إرهاب واضح :

- لقد تجاوز مرحلة الخطر .. أخيراً .

اتعمد حاجبا رجل (الموساد) (بل جراهام) ، وهو يتطلع إلى جسد (عماد) ، قبل أن يسأل الطبيب في صرامة :

- متى يمكننا النزاع الحقيقة منه ؟!

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من الممدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسنن لغات حيّة، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(الكمياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الفواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

تردد الطبيب بضع لحظات ، وهو يبحث عن جواب حاسم ، لولا أن قال (دافيد دونهام) ، مسئول أمن السفارة في صرامة :

- لا داعي للتوتر يا أدون (جراهام) .. إنها مسألة وقت فحسب .

استدار إليه (جراهام) في حدة ، قائلاً في غضب :
- لا تدس أنفك فيما لا يعينك يا (دونهام) .

أجابه (دونهام) في صرامة متحدية :

- الأمر صار يعنيني ، منذ تورط رجالى فيه يا رجل (الموساد) .

صاح فيه (جراهام) في حدة :

- رجالك أفسدوا كل شيء ، ولم ينجحوا في السيطرة على عميلين مصريين ، في قلب (روما) ، التي تدعى أنها في قبضتك .

نطقها ، وعقله ينطلق كصاروخ غاضب ، مستعيداً ذكرى تلك العملية ، منذ لحظاتها الأولى ..

منذ تسأل (عماد) إلى منزل (جون روتشيلد) ، مستشار الأمن القومي الإسرائيلي في (روما) ، واستولى على أوراق سرية بالغة الخطورة ، تثبت تورط جهاز المخابرات الإسرائيلية ، في عملية الهجوم على مركز التجارة العالمي في (نيويورك) ، في الحادى عشر من سبتمبر ، عام ألفين وواحد ..

وفي اللحظة الأخيرة ، اتكشفت العملية ..

وكانت مطاردة عنيفة ..

مطاردة انتهت بإصابة (عماد) ، وسقوطه في قبضة الإسرائيليين ، الذين استعادوا أوراقهم السرية ..

وكانت بانتظارهم مفاجأة ..

مفاجأة مخيفة ..

ففي جعبة (عماد) ، عثروا على آلة تصوير رقمية حديثة ، بدون بطاقتها الإلكترونية ، التي يتم تسجيل الصور الرقمية عليها ..

وكان هذا يعني أمراً واحداً ..

لقد التقط (عماد) صوراً رقمية للأوراق ..

وأخفى بطاقة التسجيل في مكان ما ..

مكان مجهول ..

وفي الوقت الذي قلب فيه الإسرائيليون المنطقة كلها ، ونبشوا كل شبر في المبنى وسطحه ، بحثاً عن البطاقة الإلكترونية ، كان (أدهم) يخوض حرباً عنيفة في (نيويورك) ، مع دونا (كارولينا) ورجالها ، بعد إصرارها على احتجازه هناك ، ليتعاون معها ، في حربها ضد زعماء العائلات الأخرى ..

ولأن (جيهان) ، زميلته السابقة المصابة ، كانت رهينة في قبضة دونا (كارولينا) ، كان على (أدهم) أن يقاتل بمنتهى العنف ..

ومنتهى البراعة ..

ولأنه من المستحيل أن تقف المخابرات المصرية

ساكنة ، في موقف كهذا ، فقد تقرر إرسال ضابط مخابرات مصري آخر إلى (روما) ، في محاولة لاستعادة بطاقة التسجيل الرقمية ، والسعي لإنقاذ (عماد) لو أنه لا يزال على قيد الحياة ..

ووقع الاختيار على (منى) ..

المقدم (منى توفيق) ..

وفي (روما) ، بدأت المخابرات الإسرائيلية تطارد (منى) في شراسة ، وراحت هي وزميلها (أشرف) ، مندوب المخابرات المصرية ، في العاصمة الإيطالية ، يقتلان في استماتة ، حتى نجحا في الفرار من قبضة الإسرائيليين ، في نفس اللحظة التي وصل فيها خبر مخيف ، إلى جهاز المخابرات المصري والإسرائيلي ، في آن واحد ..

خبر مصرع (أدهم) ، على يد رجال دونا (كارولينا) في (نيويورك) ..

وكانت صدمة لـ (منى) ..

صدمة قاسية ..

للغاية^(*) ..

ومن المؤكد أنه هناك أمور عديدة ، لم يعلم بها رجال الموساد (بل جراهام) ، وهو يضيف في عصبية شائرة ..

- ووجود عملاء مصريين هنا ، يجعل الوقت عاملاً شديد الحيوية والخطورة .

ابتسم (دونهام) ابتسامة واسعة ، حملت لمحة عجيبة من التشفي ، وهو يقول :

- لا داعي لأن تشغل نفسك بهذا أيضاً ، يا أدون (جراهام) .

صاح فيه (جراهام) ، في عصبية بالغة :

- ولماذا أيها المتحذلق !؟

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الأوراق المكشوفة) ..

المغامرة رقم (١١٣) .

اتسعت ابتسامة (دونهام) ، وازدادت تشفياً ، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها صوت هادئ صارم ، يقول :

- لأنك لم تعد مسنولاً عن العملية بعد الآن يا (جراهام) .

منع (دونهام) ضحكته الساخرة المتشفية بصعوبة ، في حين استدار (جراهام) في حدة إلى مصدر الصوت ، قبل أن يجف حلقه ، وتتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يحذق في أخطر رجال (الموساد) على الإطلاق ..

(شيمون) ..

(شيمون دوريل) ..

شخصياً ..

* * *

« مستحيل يا (أشرفا) ! .. مستحيل !! .. » ..

هتفت (منى) بالعبارة، فى لهجة أقرب إلى البكاء،
قبل أن تلوح بيدها، مستطرده فى مرارة:

- لا يمكن أن يموت (أدهم) بهذه البساطة.

غمغم (أشرف) فى تردد:

- كل البشر يموتون بإسيادة المقدم.

اتحدرت الدموع من عينيها، وهى تقول بكل مرارة
الدنيا:

- ولكننى لم أتصور قط أنه يموت بهذا الأسلوب.

تنهَّد، متممًا:

- تعددت الأسباب، والموت واحد، وسبحان الحى
الذى لا يموت.

غمغمت:

- صدقت.

ثم انفجرت بكىة فى مرارة وحرارة، مما جعله

يلو بالصمت طويلاً، حتى هدأت، واعتكلت تجفّف
دموعها، قائلة فى حزم:

- هل يزعجك أن ترى ضابطاً بالمخابرات يبكى؟! ..

تنهَّد، مغفمًا:

- نحن بشر بإسيادة المقدم.

قالت فى حزم أكثر:

- (أدهم) أيضاً بشر، ولكنه لا يبكى أبداً.

قال فى سرعة:

- ولكنك إم... ..

بتر قوله بقّة، عندما بداله أنه من غير اللائق
أن يواصل حديثه، ولكنها فهمت ما يعنيه، فاعتقدت
حاجبها فى صرامة، وهى تقول:

- (أدهم) كان سيكره رؤيتى أبكى، فى أول عملية

منفردة لى.

لم ينبس ببنت شفة ، وهو يراقبها فى قلق ، عندما نهضت وافقة فى حزم ، وهى تسأله :

- أديك خريطة للمبنى ، الذى تسأل إليه (عماد) ، من أجل تلك الأوراق !؟

شعر بالمقاومة المستميتة فى أعماقها ، والتي يحتاج بذلها إلى إرادة غير طبيعية ، كما لو أنها تحاول أن تثبت لـ (أدهم) ، قبل أن تثبت لنفسها ، أنها تستطيع احتمال الموقف ..

من أجله ..

ومن أجل (مصر) ..

ودون أن ينبس ببنت شفة ، نهض (أشرف) يحضر خريطة كبيرة ، فردها كاملة أمامها ، قبل أن يقول ، فى صوت خافت :

- هذا هو التصميم المعماري الكامل للمبنى .

فوجئ بها تقول فى صرامة محتدة :

- لماذا تخفض صوتك هكذا !؟ .. المفترض أننا داخل منزل آمن .. أليس كذلك !؟

شد قامته ، وهو يجيب فى سرعة :

- بلى يا سيادة المقدم .

كانت تبذل حقاً جهداً يفوق قدرات البشر ، للسيطرة على انهيار مشاعرها ، بعد سماعها خبر مصرعه ..
مصرع (أدهم صبرى) ..

كل ذرة فى كيانها كانت تبكى بكل مرارة الدنيا من أجله ..

كل خلجه من خلجات روحها كانت تنتحب لفراقه ..

كل نبضة فى قلبها كانت تصرخ باسمه ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

الدماء التي تجرى في عروقها كانت حمماً ملتهبة ،
تلتهم روحها بلا رحمة ..

بلا هواده ..

بلا دموع ..

الدموع الساخنة لم تعد تنهمر من عينيها ..

لقد أصبحت تنهمر من كيانها كله ..

من قلبها ..

وعقلها ..

وروحها ..

الدموع تنهمر ..

وتنهمر ..

وتنهمر ..

ولكن عينيها أصبحتا جافتين ..

هذا لأن كلماته ما زالت تدوى في أذنيها ..

« عندما يتعلق الأمر بأمن وسلامة (مصر) ، فلا بد
وأن تتزاح كل المشاعر الأخرى جانباً ، مهما بلغت
قوتها ، أو بلغ عمقها .. » ..

« إذا ما ارتفع صوت (مصر) ، فلتتخض كل
الأصوات الأخرى ، حتى صوت القلب نفسه .. » ..

« الأشخاص ، مهما كانت أهميتهم ، يتون ويذهبون ،
ولكن (مصر) باقية ، مهما طال الزمن .. » ..

عبارات طالما رددتها (أدهم) على مسمعها ..
وطالما عمل بها ..

كان يستجيب لنداء (مصر) دوماً ..

مهما كان الثمن ..

مهما كان ..

وهي الآن تستمع إلى كلماته من ذاكرتها ..

تستمع إليها من أعماق أعماق وجدانها ..

وتنفذها ..

كما أراد تمامًا ..

ودوماً ..

« زميلتنا (عماد) خرج من هنا ، متجهًا إلى السطح مباشرة .. » ..

نطقتها في حزم وعزم ، لا يشفان أبدًا عما يلتهب في أعماقها ، وهي تشير إلى خريطة المبنى ، و (أشرف) يتابع سبابتها ببصره ، قائلاً :

- هل تعتقدان أنه هناك مكان ، يصلح لإخفاء بطاقة التسجيل الرقمية ١٢

صممت بضع لحظات ، قبل أن تجيب في حزم :

- لإجابة هذا السؤال ، لن تصلح الخرائط ، مهما بلغت دقتها .

واعتمدت مضيفة :

- لا بد من زيارة ميدانية .

سألها في حذر :

- أعتقدين أنه بإمكانك القيام بهذا ..

سألته في صرامة :

- ولم لا ؟!

أجابها في تردد :

- أعنى بعد سماع خبر الـ ... الـ ...

قالت في صرامة أكثر :

- في عالمنا ، لا مجال للأحزان الشخصية بأرجل .

وصممت لحظة ، قبل أن تضيف ، بكل صرامة

الدنيا :

- إننا محترفون .

واتهمرت الدموع في أعماقها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

بدا (شيمون) باردًا، كالحج من الثلج، في أعماق
القطب الشمالي، وهو يدبر عينيه في سطح المبني،
الذي فرّ منه (عماد)، قبل أن يطلق عليه قنّاص
الهليكوبتر رصاصاته، ثم لم يلبث رجل (الموساد)
الجديد أن التفت إلى (جراهام)، يسأله:

- من آخر من رآه، قبل أن يتفزع من السطح؟

أجابته (جراهام) في عصبية، لم يستطع إخفاءها:
- رجال أمن المستشار.

تقدّم (شيمون) من حاجز السطح، عند النقطة
التي قفز منها (عماد)، وفحص المكان بمنتهى الدقة،
قبل أن ينحني للفحص شق صغير أسفل الحاجز،
فقال (جراهام) بنفس العصبية:

- لقد فحصنا المكان كله شبرًا شبرًا.

قال (شيمون) في صرامة:

- ولماذا لم تفحصوه مليمتراً بمليمتراً؟

هتف (جراهام) في حدة:

- لقد بذلنا كل ما بوسعنا.

اعتدل (شيمون)، وعقد كفيه خلف ظهره، وهو

يقول في برود صارم:

- من الواضح أن هذا لا يكفي.

هتف (جراهام):

- اسمع يا أدون (شيمون) ..

استدار إليه (شيمون) بحركة حادة، وقال في

صرامة قاسية:

- اسمعني أنت جيّدًا يا (جراهام).

انتفض جسده (جراهام)، مع الحركة الصارمة

المباغثة، واتسعت عيناه عن آخرهما، دون أن

يدري ، و (شيمون) يتابع بنفس اللهجة ، وهو يتطلع
إلى عينيه مباشرة ، بنظرة مخيفة :

- أسلوبك هذا لا يتناسب قط ، مع طبيعة رجل
مخابرات إسرائيلي محترف .. أنت عصبي ، متهور ،
تتحرك بانفعال أعمى ، وتساءل التعامل مع مرعوسيك ،
وزملائك ، و ..

اتعدت حاجباه في شدة ، ليضيفا عليه مظهراً وحشياً ،
وهو يضيف ، بلهجة ذات مغزى :

- ورؤسائك .

امتقع وجه (جراهام) في شدة ، وقد أدرك ما يعنيه
قول (شيمون) ، الذي ألقاه أمام (روتشيلد)
(شندلر) ، دون أن يبالي بمكائته ، خاصة وهو
يستطرد ، في صرامة أكثر :

- وفي عملية كهذه ، لا يصح وجود شخص متهور ،
أو عنيد ، أو مقاوم للضبط والربط .. أليس كذلك ؟
كاد صوت (جراهام) ينافس شحوب وجهه ، وهو

يغمغم في خفوت ، وعرق بارد عجيب ، يتصبب على
وجهه في غزارة :

- بلى يا أدون (شيمون) .. بلى .

لم يرق خنوعه الشديد لمساعدته (شندلر) ، على
الرغم من أن (شيمون) قد اعتدل دفعه واحدة ،
وتجاهل الموقف كله ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً بلهجة
أمرية :

- أريد فحص المكان كله مرة أخرى ، من حجرة
مكتب (روتشيلد) الخاصة ، وحتى حاجز السطح ،
كما أريد استجواب جميع أفراد طاقم الأمن ، الذين
تواجدوا ، في أثناء عملية التسلل ، وأريد التقاط صور
لكل شيء ، وكل ركن ، وكل سنتيمتر .

تردد (شندلر) لحظة ، قبل أن يسأله :

- وماذا عن المصريين ؟

التمعت عينا (شيمون) ، وهو يقول :

- سنتظرهم .

بدت الدهشة على وجوه ثلاثتهم ، وتساعل مستشار
الأمن القومي الإسرائيلي في حيرة :

- ننظرهم !؟ وهل نتوقع حضورهم إلينا !؟

أجابته (شيمون) في سرعة وحزم وثقة :

- بالتأكيد .. لا بد وأن يفعلوا .

وتراقصت ابتسامة مخيفة على طرفي شفثيه ، وهو

يضيف :

- إنهم محترفون .

وفي عيون الجميع ، بدا لحظتها أشبه بشيطان ..

شيطان محترف ..

من أعماق أعماق الجحيم .

* * *

٢- العودة ..

« نجحنا يا دونا .. » ..

هتف (كارلو) ، مساعد دونا (كارولينا) بالعبارة ،
في سعادة جمّة ، وهو يلوح بمسدسه ، مستطرداً في
حماسة ظافرة :

- العائلات كلها أعلنت ولاءها ، والكل يؤيد بقائك
في منصب الزعامة ، وسنقيم احتفالاً كبيراً مساء
الغد ، يحضره كل الزعماء الجدد ، إعلاناً لتجديد
العهد ..

سألته ، وهي تنفث دخان سيجارتها ، في شيء
من التوتر :

- وماذا عن الشرطة !؟

أجابها في سرعة :

نفثت دخان سيجارتها ، وهي ترمقه بنفس النظرة
الباردة ، قبل أن تضغط زر جهاز الاتصال ، فقلّة
بلهجة أمره :

- دعهم يصعدون .

ثم استدركت في صرامة :

- واحد منهم فقط .

انعقد حاجبا (كارلو) ، الذى انتظر حتى أغلقت
جهاز الاتصال الداخلى ، ليقول فى عصبية :

- لماذا يا دونا ؟

لوحت بيدها ، مجيبة فى حزم :

- إتنا لم نرتكب خطأ ، بمنعنا من مقابلة رجال
الشرطة الفيدرالية ، أو حتى رجال المخابرات المركزية .

وصمت لحظة ، لتنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ،
مكتملة :

- من الناحية الرسمية .

- ليس لديهم دليل واحد .

رمقته بنظرة باردة ، وهي تقول :

- مع كل ما أرى من دماء !!

أجاب ضاحكاً :

- إنهم يبذلون قصارى جهدهم .. المهم أن يثبتوا
الاتهام .

انعقد حاجباها فى شدة ، وغمغت :

- نعم .. المهم الإثبات .

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى اتبعث صوت قائد طاقم
أمن المبني ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال الداخلى :

- دونا .. بعض رجال الشرطة الفيدرالية ، يصرّون
على مقابلتك فوراً .

هتف (كارلو) فى سرعة وتوتر :

- لا تسمحى لهم بالصعود يا دونا .

سألته ، وهي تسترخى في مقعدها ، على نحو
مستغز :

- وما الذى يحدث هنا بالضبط !؟

قال فى حدة :

- لقد عاد بنا الزمن إلى ثلاثينات القرن العشرين
فجأة ، ودون سابق إنذار ، وقرّر بعضهم تكرار
ما فعله نون (كيرليونى) أيامها ، وقتل زعماء
العائلات بضربة واحدة ، حتى تتحقق له الزعامة ، أو
يستقر مقامه فيها .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

- معلوماتك التاريخية ضعيفة إلى حد ما أيها المفتش
(كال) ، فالثلاثينات تقول : إن (مايكل) .. شقيقى
الأكبر (مايكل كيرليونى) ، هو الذى فعل هذا ، بعد
موت والدنا ، ومحولة بعض زعماء العائلات الاستيلاء
على لقب (الأب الروحى) ، ولكن أحدًا لم يستطع
إثبات صحة هذا ، أو حتى توجيه أى اتهام رسمى

لم تمض دقائق عشر على قولها ، حتى دلف إلى
حجرة مكتبها رجل قوى البنية ، عريض المنكبين ،
يرتدى معطفًا رثًا على نحو ما ، ويحمل ملامح
صارمة ، وهو يقدّم نفسه ، قائلاً :

- المفتش (كال) .. من الشرطة الفيدرالية .

أطغأت سيجارتها فى هدوء ، وهي تسأله :

- ماذا تريد منا بالضبط أيها المفتش (كال) !؟

أجابها فى صرامة :

- أريد تفسيرًا لما يحدث هنا يا دونا .

قالت فى برود :

- اسمى (كارولينا) .. (كارولينا كيرليونى) .

زفر فى ضجر ، وهو يقول :

- فليكن ياسيدة (كارولينا كيرليونى) .. أريد معرفة

ما الذى يحدث هنا بالضبط !؟

لد (مايكل) ، فليس المهم أن يتصور الكل أنه الذي
فعلها .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف ، في تحد واضح :
- المهم إثبات هذا .. رسمياً .

احتقن وجه المفتش ، وهو يقول في صرامة :

- الزمن تغير يا دو ... لحم .. ياسيدة (كيرليونى) .
رفعت أحد حاجبيها ، وهى تقول ، فى شيء من
السخرية :

- حقاً !؟

صاح بها فجأة ، فى غضب هادر :

- نعم .. حقاً يا ، دونا .. الزمن يتغير ، وكل شيء
يتغير معه .. كل شيء .

قالت بنفس السخرية :

- عظيم .. أين إذن طن الأملّة والإبتات ، الذى
أتيت تحمله إلى هنا .

هز رأسه فى صرامة ، قائلاً :

- كلاتا يعلم أن هذا لن يفيد ياسيدة (كيرليونى) ..
كلانا واثق من أن العشرات سيشهدون بوجودك
خارج هذا الأمر ، وأتينا سنجد ألف دليل على عدم
وجود أية صلة لك ، أو حتى لرجال منظمك ، بما حدث
لزعماء العائلات ، بل وسيخرج إلينا جيش محاميك ،
لإنكار أية صلة لك بمنظمة (المافيا) ، أو حتى بأية
أعمال غير قانونية ، وربما يتطور الأمر إلى مقاضاة
كل منا ؛ بسبب الإساءة إلى شرفك وسمعتك .

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى هدوء :

- عظيم أنك تدرك هذا .

قال المفتش (كال) فى سرعة :

- ولكن ماذا عما حدث هنا !؟

انعقد حاجبا (كارلو) فى شدة ، فى حين صمتت
(كارولينا) لحظة ، قبل أن تنفث دخان سيجارتها
بمنتهى العمق ، قائلة :

- وماذا حدث هنا !؟

مال المفتش نحوها ، مجيباً في صرامة متحدية :
- أجد الهواة التلقظ فيلماً عجيباً ، لشخص قفز من
هذه التنافذة هنا ، ودار صراع بينكم وبينه ، على نحو
مذهل وغير طبيعي ، حتى أعدتموه إلى المبنى .. ثم
لم يره مخلوق بعدها قط .

قالت في ببطء ، وهي تزن كل حرف ، قبل أن
تنطق به :

- فيلم صورّه أحد الهواة ؟! أشك في صحة هذا .

تجاهل (كال) عبارتها هذه ، وهو يسألها في
صرامة :

- أين ذلك الرجل يا سيدة (كيرليونى) ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تسأله :

- أى رجل ؟

تراجع ، مجيباً بكل صرامة الدنيا :

- الرجل المعروف في (المكسيك) و (نيويورك)
رسمياً ، باسم (أميجو سانتو) ، والمعروف في بعض
الأوساط الميرية باسم (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

رفعت أحد حاجبيها ، وهي تقول :

- (أدهم) ماذا ؟! .. لم أسمع هذا الاسم من قبل
قط .

احتقن وجه المفتش في غضب ، وهو يهتف :

- فليكن يادونا .. أعذك أن أنكرك به .

ثم استدار متجهاً إلى الباب ، مضيقاً في حدة :

- عندما نعثر على جثته .

قلها ، وصفق الباب خلفه في قوة ، فهتف (كارلو) :

- دونا .. يبدو أنهم يعلمون أن ..

قاطعته بإشارة صرامة :

- اصمت .

وعادت تتراجع فى مقعدها ، وتنفث دخان سيجارتها
فى عصبية ، وهى تضيف :

- (أدهم صبرى) انتهى من حياتنا إلى الأبد ،
ولا أريد أن أسمع اسمه مرة أخرى .. هل تفهم !؟
أدهم صبرى) انتهى .. انتهى تماما ..
ولم ينطق (كارلو) حرفاً واحداً ..
لم يجرؤ على هذا ..
قط ..

* * *

التقطت (منى) نفساً عميقاً ، وهى تعنك وضع
منظارها الطبى الزائف على أنفها ، قبل أن تهمس
لـ (أشرف) :

- تذكر أننا صحفيان فى (هيرالد تريبون) ، كما
تقول بطاقتنا الهوية ، اللتان صنعهما (قنرى) ببراعته
المدهشة ، وهذا ما سنصرّ عليه بشدة ، لو وقعنا فى
قبضة طاقم أمن المبنى .

غمغم فى هدوء :

- اطمئنى .

تسلّل كلاهما ، عبر ممرات التهوية المشتركة ، إلى
المبنى الذى يحوى شقة (جون روتشيلد) ، مستشار
الأمن القومى الإسرائيلى فى (روما) ، حتى بلغا
السلم الخلفى ، فهست (منى) :

- هذا سيقودنا إلى السطح مباشرة ، من مدخله
الخلفى .

سألها (أشرف) ، وهما يصعدان فى درجات السلم ،
فى سرعة وخفة :

- هل تعتقدان أن (عماد) قد تركها هناك !؟

اتعدت جاحباها ، وهى تقول فى صرامة :

- لا تذكر اسمه أبداً .

ابتسم لدقتها المتناهية ، وهو يكرّر :



دلف كلاهما إلى السطح . ووفقا بضع لحظات ، للتأكد
من أن أحداً لم يكشف أمرهما ..

- هل تعتقدان أن المتسلل ، قد ترك بطاقة التسجيل
الرقمية هناك ، على السطح ؟

أجابته في سرعة ، وهي تتصق أذنها بالباب الخلفي
لسطح المبنى ، في حذر بالغ :

- الإسرائيليون فتشوا كل سنتيمتر في السطح ،
ولو أنه أخفاها في جحر للنمل لعثروا عليها .

تساعل في دهشة :

- ما الذي أتينا لنفعله إذن ؟

أجابته ، وهي تدفع باب السطح ، بمنتهى الحذر :

- أتينا لندرس للموقع على الطبيعة ؛ فقد يقودنا هذا
إلى أفكار واحتمالات جديدة .

دلف كلاهما إلى السطح ، ووفقا بضع لحظات ،
للتأكد من أن أحداً لم يكشف أمرهما ، قبل أن تغمغم
(منى) :

- موقع جيد ، لمراقبة كل ما حوله .

غمغم (أشرف) :

- إنه يظل بالفعل على أسطح عدد من المباني المحيطة ، ولا يعطوه سوى ذلك المبنى عبر الشارع .

قالت (منى) ، وهي تتجه إلى حاجز السطح :

- إلى المكان الذي أتى منه إلى هنا حتمًا .

وتوقفت بالقرب من الحاجز ، وهي تدبر عينيها فيما حولها ، متابعة :

- ووفقًا لتصور الخبراء ، فقد اتجه عند هروبه ، إلى هنا مباشرة ، وتوقفت لبعض الوقت .

قال (أشرف) في اهتمام :

- ليلتقط صور الأوراق .

تلقت حولها ، قائلة :

- وبعدها أخفى بطاقة تسجيل الصور الرقمية ، في مكان ما .

وضاقت عيناها ، وهي تعصر عقلها اعصارًا ، متابعة في خفوت :

- مكان ما هنا .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

- أو حولنا .

أشار (أشرف) بسببته ، وهو يسأل :

- المهم أين؟! أين أخفى تلك البطاقة ، التي يتقاتل من أجلها الجميع؟! أين؟!

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان (جراهام) يهتف ، وهو يراقب ما يحدث ، من المبنى المقابل ، عبر منظر مقرب :

- لقد كنت على حق يا أدون (شيمون) .. إنهم

هناك .

استرخى (شيمون) في مقعده ، داخل شقة فاخرة ،

في المبنى المرتفع عبر الشارع ، وقال وهو يسبل
جفنيه في هدوء :

- كنت أعلم أنهم سيأتون .

هتف (شندلر) في حماسة :

- لقد وقعوا في قبضتنا .

أما (جراهام) ، فقد التفت هاتفه للمحمول من جيبه ،
وهو يقول في صرامة :

- سأبلغ رجالنا ، لكي ..

قاطعته (شيمون) في صرامة قاسية :

- أعد هاتفك إلى جيبك يا (جراهام) .

قال (جراهام) في حدة :

- ولكنها فرصة نادرة ، قد لا يمكننا تعويضها أبداً ..

إنهم على سطح مبنانا ، وبإشارة واحدة ، يستطيع
رجالنا الانتفاض عليهم ، وسحقهم سحقاً .

فتح (شيمون) عينيه ، وسأله في اهتمام :

- هل تعتقد هذا؟!

هتف (جراهام) في انفعال :

- بالتأكيد .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفתי (شيمون) ، وهو
يقول :

- هل تعلم يا (جراهام) .. قراراتك هذه يمكن
تدريسها ، للجيل الجديد في (الموساد) ؟!

هتف (جراهام) :

- حقاً ؟!

اعتدل (شيمون) بحركة حادة ، وهو يقول في
صرامة شرسة :

- كمثال للقرارات الانفعالية الحمقاء ، التي لا تستند
إلى أية نعمة من الحكمة أو المنطق ، أو حتى الرؤية
الصحيحة للهدف الأساسي .

تراجع (جراهام) كالمصعوق ، قبل أن يقول في
حدة :

-ولماذا كل هذا ؟!

هبا (شيمون) من مقعده ، واختطف منه المنظار
المقرب ، قائلاً :

-قل لي أيها العبقري : لماذا تسعى للتخلص من
المصريين ؟!

اتعدد حاجبا (شندلر) ، دون أن ينطق ببنت شفة ،
في حين ارتبك (جراهام) ، وهو يغمغم :

-أى سؤال هذا ؟!

قال (شيمون) في صرامة :

-سؤال منطقي يا (جراهام) ، بعيداً عن العداوة
الغريزية ، الذي نما في أعصابك منذ حدثتك ، تجاه العرب
عموماً ، والمصريين خاصة .. سؤال يتعلق بالموقف
الحالي فحسب .. لماذا تسعى للتخلص منهم ؟!

قال (جراهام) في حدة :

-إنهم يسعون خلف البطاقة ، التي تحوى صور وثائقنا
السرية ، وأوراقنا بالغة للخطورة والحساسية .

وضع (شيمون) المنظار على عينيه ، وهو يسأله :
-وماذا فى هذا ؟!

تبادل (جراهام) نظرة دهشة مستتكرة ، مع
(شندلر) ، قبل أن يقول فى سخط :

-وماذا لو عثروا عليها ؟!

أجابه (شيمون) فى سرعة وحزم :

- هذا لا يهم .

ثم استترك ، قبل أن يمنحه الفرصة للرد أو الانفعال :
-ماداموا تحت سيطرتنا .

ارتفع حاجبا (شندلر) ، وتألفت عيانه ، على نحو
يوحى بأنه قد استوعب المعنى ، فى حين قال (جراهام)
فى غضب :

- وماذا لو خرجوا عن سيطرتنا !؟

أجابته (شيمون) فى صرامة :

- فلنعمل على ألا يحدث هذا قط .

ثم خفض المنظار ، واستدار إلى (جراهام) ، متابعا
فى لهجة قاسية :

- ينبغي أن تتعلم القواعد الجديدة للعبة .. بدلاً من
أن تهاجم عدوك ، دعه يعمل لحسابك ، ويسعى إلى
ماتسعى إليه ، ولكن ضعه تحت سيطرتك التامة ..
بهذا تكون قد أضفت أيدى عاملة إلى قواتك ، تعمل
بمتمهى الكفاءة والحماسة ، وتساعدك على بلوغ
الهدف ، دون أن تكلفك سوى رصاصة واحدة لكل
رأس ، فى نهاية الأمر .

غمغم (جراهام) فى عصبية :

- المصريون ليسوا بهذه السهولة .. إنهم محترفون
مثلنا .

انطلقت ضحكة ساخرة قصيرة ، من بين شفتى
(شيمون) ، وهو يقول :

- سنرى يا عزيزى (جراهام) .. سنرى ..

نطقها ، وعاد يرفع المنظار المقرب إلى عينيه ،
ليخفى به ذلك البريق ، الذى سطع فيهما ..

البريق الشيطانى الوحشى ..

جداً ..

* * *

لم تنبس (منى) بحرف واحد ، منذ عادت مع
(أشرف) إلى ذلك المنزل الآمن ، قلب (روما) ،
وجلست على المقعد المواجه للنافذة ، مستغرقة فى
تفكير عميق ، بدا وكأنه يلتهم كل ذرة من كيانها ..

وفى موقعها هذا ، بدت أشبه بأستاذها ، كما لم تبد
من قبل ..

وفى أعماقها ، كانت نسخة طبق الأصل منه ..

إرادتها القوية سيطرت على حزنها العميق ، ودفنته
فى جزء مظلم من عقلها ، لتجد ما تبقى من خلايا
مخها الرمادية ، للبحث عن تفسير لذلك اللغز الذى
تواجهه .

لغز اختفاء بطاقة تسجيل الصور الرقمية ..

لقد فحصت كل شبر فى ذلك السطح ، وأصبحت
وثقة ، تمامًا مثلما يثق الإسرائيليون ، فى أن البطاقة
ليست هناك ..

ومن المؤكد أن (عماد) لم يخلها فى أى مكان فى
ملابسه ، وإلا لعثر عليها الإسرائيليون ، وتوقفوا عن
حملة بحثهم المحمومة عنها ..

أين هى إذن ؟ ..

أين ؟ ..

لقد أخفاها (عماد) فى مكان ما ..

مكان يمكنه العودة لالتقاطها منه ، لو ظلت مما يحدث ..

حاولت أن ترسم فى عقلها صورة وهمية لما حدث
هناك ، على سطح المبنى ..

(عماد) مطارد ، يعلم أنهم سيظفرون به على
الأرجح ..

ولكن الأوراق مازالت فى حوزته ..

ولا بد أن تصل إلى (القاهرة) ..

بأى ثمن ..

و ..

« هناك أمر مريب .. » ..

دفع (أشرف) أمامها فجأة ، ورقة تحمل هذه
العبرة ، فانتزعتها من أفكارها فى عنف ، وجعل
حاجبها يتعقدان ، وهى تشير إليه بيدها ، متسائلة
عما يعنيه ، فكتب أسفل عبارته الأولى :

- هناك شخصان يراقبانا ، من إحدى نوافذ المبنى

المقابل ، على الرغم من أنني واثق من أن أحدا لم يتبعنا ، عندما عدنا إلى هنا .

نهضت ، تسألته في صمت ، عن كيفية معرفته لهذا ، فكتب في سرعة :

- الأمور تتطورُ بإسيادة المقدم ، وعندما أستأجرنا هذا المنزل الآمن ، زودناه بشبكة من وسائل المراقبة ، الداخلية والخارجية ، مع مجموعة من شاشات الرصد الدقيقة ، لضمان أمنه وسريته .. وإحدى وسائل المراقبة لدينا ، آلة تصوير بالأشعة تحت الحمراء ، وهذا ما سجلته .

ضغط أزرار الكمبيوتر في سرعة ، فظهرت على شاشته صورة خضراء اللون ، لرجل يقف في نافذة المنزل المقابل عبر الشارع ، مستتراً بظلام حجرته ، وعلى عينيه منظار مراقبة كبير ..

كتبت (منى) في اهتمام :

- هل يمكنه كشف ما علمناه الآن !!

التقط (أشرف) نفساً عميقاً ، وكتب :

- فقط لو أنهم يمتلكون واحداً من ميكروفونات الليزر الحديثة* ..

انعقد حاجباها في شدة ، فتحنج مضيفاً على الورق :

- هذا النوع من الميكروفونات يستخدم شعاعاً من الليزر ، ..

قاطعته في حزم ، وهي تكتب في سرعة :

- لا داعي للشرح .. إنني أعرفه جيداً ..

وصممت لحظة ، ثم أضافت على الورق :

- إنني لست عتيقة الطراز إلى هذا الحد .

كتب في حرج ، في آخر سطر من الورقة :

- لم أكن أقصد هذا .

(*) ميكروفون الليزر : هو نوع جديد من أجهزة التنصت لثباته ، يعتمد على إطلاق شعاع رفيع من الليزر ، ثم إعادة استقباله ، بعد أن ينعكس على المصدر المراد التنصت عليه ، حاملاً نبذاته ، تلتفت عن كل ما يدور داخل المصدر من أحداث .

رماقه بنظرة صارمة ، قبل أن تثتقط ورقة أخرى
من جوارها ، ثم تزيح كل ما على سطح المنضدة
الزجاجية ، لتضع الورقة فوقها ، وتكتب بسرعة :

- سنفترض وجود هذه الميكروفونات ، وسنتوقف
عن تبادل الأحاديث ، وسنتحدث عبر الورق فقط .

التقط القلم ، وكتب فى سرعة :

- ماذا تقترحين ؟!

كتبت :

- المعتاد .

تلاقت نظراتهما ، وهو يتنسم ابتسامة كبيرة ، وقلمه
يكتب :

- بالتأكيد .

فى نفس اللحظة ، التى أنهى فيها كتابة الكلمة ،
كان (شنذر) يخفض منظر المراقبة عن

عينيه ، ويدير بصره إلى شاشة ميكروفون الليزر ،
قاللاً :

- يبدو لى أننا نرتكب خطأ كبيراً يا أدون (جراهام) .

زمجر (جراهام) ، قاللاً فى فى صرامة :

- قم بعملك فحسب يا (شنذر) ، ودع التفكير واتخاذ

القرارات لى .

زفر (شنذر) فى توتر ، وتابع لحظات تلك
الذبذبات ، التى يرسمها ميكروفون الليزر على
شاشته ، والتى يحولها جهاز الكمبيوتر المتصل به ،
إلى أصوات واضحة ، وعبارات يتبادلها (أشرف)
مع (منى) ، ثم عاد يرفع منظر المراقبة إلى عينيه ،
قاللاً فى توتر :

- أوامر أدون (شيمون) كانت صارمة حازمة فى

هذا الأمر .. لقد منعنا من اتخاذ أى قرار منفرد ،
بشأن هؤلاء المصريين .

قال (جراهام) في حدة :

- (شيمون) هذا مختلّ العقل .. لقد تعلمنا منذ نعومة أظفارنا ، أن المصريين أعداء لنا ، حتى مبادرة السلام ، التي وقّعها قائدنا وقادتهم ، لن تحوّلهم في غمضة عين إلى أصدقاء .

غمغم (شندلر) في تردد :

- أدون (شيمون) لا يعتبرهم أصدقاء ، ولكن وجهة نظره أن ..

قاطع (جراهام) في شراسة :

- لقد أوضح وجهة نظره جيّداً .

ثم التقى حليباه في وحشية ، وهو يضيف :

- ولن يذهب مع وجهة نظره السخيفة هذه ، إلى أعماق أعماق الجحيم .

حاول (شندلر) أن يقول شيئاً ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفّتيه ، وهو يواصل مراقبة المنزل الآمن ،

الذي تقيم فيه (منى) مع (أشرف) ، قبل أن يسأله (جراهام) في صرامة :

- ماذا يفعلون ؟!

هزّ (شندلر) كتفيه ، قائلاً :

- لا يمكنني رؤيتهم ؛ فلستأثر مسدلة على كل النوافذ ، ولكنهم يتبادلون بعض الأحاديث التقليدية ، كما تسمع جيّداً .

مطّ (جراهام) شفّتيه ، قائلاً :

- أحاديثهم سخيفة ، لا تتفق مع طبيعة مهنتهم .

غمغم (شندلر) ، وهو يفكر في عمق :

- وخاصة في ظروف كهذه .

لوّح (جراهام) بيده ، قائلاً في سخط :

- هؤلاء هم المصريون ، الذين يتوقّع منهم (شيمون) ، أن يتوصّلوا إلى ما لم نتوصّل نحن إليه ..

أحاديث مخيفة ومكررة ، عن أحدث أفلام السيئنا ،
وخطوط الموضة ، و ..

قاطعه (شندلر) وهو يفكر بنفس العمق ، دون أن
ينتبه إلى ما في هذا من تجاوز ، لقواعد ونظم العمل :

- من الناحية المنطقية ، لا يمكن أن يتبادل رجال
مخابرات ، في مهمة رسمية ، أحاديث كهذه ، إلا ..

وحقض منظار المراقبة عن عينيه ، وهو يهتف
في ذعر :

- إلا إذا ..

وقبل أن يكتمل هتافه ، تحطم باب المكان في عنف ..
وانقض (أشرف) و (منى) ..

كالعاصفة ..

* * *

تألفت عينا (شيمون) على نحو عجيب ، وهو

يجلس في استرخاء ، أمام شاشة المراقبة ، في المبنى
المجاور للمنزل الآمن ، الذي يقيم فيه (أشرف)
(منى) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ،
جعلت (دونهام) يقول ، في شيء من العصبية :

- عجباً ! .. هل يروق لك ما تراه ؟!

غغم (شيمون) ، في هدوء مستفز :

- بالتأكيد .

ارتفع حاجبا (دونهام) ، في دهشة مستنكرة ، قبل
أن يعتقد في توتر ، وهو يتابع المشهد ، الذي تنقله
الشاشة الكبيرة ..

كان مشهد (منى) و (أشرف) ، وهما ينقضان
على (جراهام) و (شندلر) .. ومع المفاجأة العنيفة ،
ترجع (شندلر) ، وحاول سحب مسنسه ، وهو يهتف
في ذعر :

- كان ينبغي أن ..

فأطعته لكمة ساحقة ، هوى بها (أشرف) على فكه ، قبل أن يقبض بأصابعه الفولاذية على معصمه ، ويلويه فى عنف ، ليجبره على إفلات مسدسه ، فى نفس اللحظة التى وثبت فيها (منى) ، وركلت (جراهام) فى فكه مباشرة ..

وبحركة يائسة ، حاول (شندلر) التقاط أى شيء ، للهجوم به على (أشرف) ، ولكن (أشرف) لكمه فى معدته ، وهو يقول فى سخرية :

- لحظة اختبار يا هذا .

وعندما اتثنى (شندلر) ، من عنف اللكمة ، استقبلت ركلة (أشرف) أنفه ، لتحطمه فى عنف ، قبل أن تنتضم قبضته ، لتهويها على مؤخرة عنقه كالقنبلة .. أما (جراهام) ، فقد صرخ فى غضب ، وهو ينقض على (منى) :

- أيتها الـ ..

وثبت (منى) جقبًا ، وهى تخرسه بركلة فى أنفه ، قاتلة :

- هل جرؤت !؟

ترجع مع الركلة ، فوثبت مرة أخرى ، ودارت حول نفسها ، وهى تركله ركلة ثانية فى أنفه ، مكملة :

- ألم تسمع زميلى !؟

تحطم أنف (جراهام) ، وتفجرت منه الدماء فى عنف ، لتفمر وجهه كله ، و (منى) تضيف فى صرامة :

- إنه اختبار قوة .

سقط (جراهام) على ركبتيه ، وهو يقول فى غضب هادر ، امتزج برنة ألم قوية :

- القوة لنا .. لن تهزموننا أبدًا أيها المصريين .

استدار إليه (أشرف) ، قاتلاً فى سخرية :

- عجبًا !.. يبدو أن ذاكرتك ضعيفة للغاية أيها

الوغد .. لقد نسيتم أو تناسيت ، الدرس الذى لقساكم
إياه ، فى أكتوبر ١٩٧٣ م .

وعلى الرغم من غضبه وآلامه ، أطلق (جراهام)
ضحكة ساخرة ، تنأثرت معها الدماء من بين شفتيه ،
وهو يقول :

- كان هذا فيما مضى أيها المصرى .. كنا نجهل
عندئذ كم تطورتكم ، وكم بلغت قوتكم .. أما الآن فنحن
نعرف من أنتم ، ومقدار ما يمكنكم فعله ، و ..

تأثقت عيناه بغته ، وهو يضيف :

- وما يمكننا فعله .

انتبه (أشرف) و (منى) إلى نظرتيه المتلهفة ،
وانتفتا فى آن واحد إلى حيث تتجه ، ليرتطم بصرهما
بقوهة مسدس آلى قوى !؟ ..

مسدس يصوبه إليهما (شندلر) ، الذى انطلقت من
حلقه زمجرة مخيفة ، وعيناه تحملان كل شر وغضب
الدنيا ..

وفى لحظة واحدة ، ومع التفاههما تقريبا ، ضغط
(شندلر) زناد المسدس ..

ودوت رصاصة ..

وامتزجت بصرخة رهيبية ..

صرخة كائن حى ، يواجه هادم اللذات ، ومفرق
الجماعات ..

الموت ..



٣- نظرية الاحتمالات ..

سدا الصمت التام ، داخل قاعة العرض السينمائي للخاصة ، في مبنى للمخابرات العمة المصرية ، والشائثة تعرض فيلماً خاصاً ، التقطه أحد الصلاء في (روما) ، لذلك المبنى ، الذي تسلل إليه (عماد رامز) ..

كان الفيلم يستعرض المبنى من الداخل ، وسلامه الأمامية والخلفية ، ثم يجول طويلاً على سطحه ، بمنتهى البطء والدقة ، ثم يدور موضخاً المباني التي تحيط به من كل الاتجاهات ..

ومع انتهاء العرض ، أضيفت أقوار للقاعة ، واعكس مدير المخابرات في مقعده ، وهو يقول في اهتمام :
- بطاقة التسجيل الرقمية تختفي هنا ، في مكان ما ، ولكن أحداً لا يستطيع العثور عليها ، مما يمثل لغزاً كبيراً ، أمام كل الأطراف ، على نحو محير .

تنهذ مساعد المدير ، وهو يقول :

- الظروف لم تمنح (عماد) فرصة اللجوء إلى أية خطط بديلة ، من المتفق عليها ، في حالات الطوارئ ، ومن الواضح أنه قد تعامل مع الموقف من وحى الساعة .

قال المدير في حزم :

- علينا إذن أن نضع أنفسنا في موضعه ؛ لنرى كل ما يمكن أن يفكر فيه .

قال مساعد آخر :

- هذا يحتاج إلى خبير أمني ، وخبير نفسي أيضاً .

أشار المدير بسبأبته ، قائلاً :

- بالضبط .. على أن يتم هذا ، بأقصى سرعة ممكنة ، قبل أن يتوصل الإسرائيليون إلى البطاقة ، ونخسر العملية كلها .

تساءل المساعد في اهتمام قلبي :

- هل تعتقد أنهم سينجحون في انتزاع الحقيقة من
(عماد) ياسيدي !! ..

اتعتقد حاجبا المدير ، وهو يجيب في تحفظ :

- من يدري !! الإسرائيليون لديهم وسائلهم الوحشية ،
ورجلنا مصاب ، ولن يمكنه احتمال ما سيفعلونه به
طويلاً .

قال المساعد الثاني في حزم :

- (عماد) قد يموت ، ولكنه لن يمنحهم ما يريدونه
قط .

أسرع المساعد الأول بضيف :

- هذا لو عاد إلى الحياة .. أعنى لو استعاد وعيه
أولاً .

هز المدير رأسه ، دون أن يعطى ، فتساعل المساعد
الثاني في حذر :

- هذه العملية تحتاج إلى تدخل محترف ، على درجة
عالية من الخبرة والكفاءة والقوة .

قال المدير في صرامة :

- كل أفرادنا محترفون .

تتنحج المساعد الأول ، قائلاً :

- زميلي كان يقصد رجلاً بعينه ياسيدي .

أزداد اعتقاد حاجبي المدير ، وهو يقول :

- أعلم هذا .. أعلم أنه يقصد (ن - ١) .

وصمت لحظة ، ثم كرر :

- أعلم هذا .

وفي هذه المرة ، خرجت كلماته حاملة قدرًا مدهشنا

من الغموض ..

قدر هائل ..

وبلا حدود ..

* * *

« أين أنا ١٢ .. » ..

غمغم (عماد) بالعبارة في ضعف، وهو يستعيد وعيه، داخل حجرة العناية المركزة الخاصة، في قبو السفارة الإسرائيلية في (روما)، وشعر بالآلام تنتشر في جسده كله، وهو يفتح عينيه في صعوبة، متمعًا:
- ماذا حدث؟! ..

كان المكان خاليًا تمامًا، إلا من ممرضة شابة، استغرقت في النوم، على مقعد بعيد، وبدا وكأنها لم تشعر باستعادته لوعيه قط!.

ولثوان، بلغت نصف الدقيقة تقريبًا، ظل عقله مشتتًا مرهقًا، ثم لم يلبث أن استوعب ما حوله تدريجيًا ..

وأدرك طبيعة المكان ..

وهويته ..

ففي أماكن مختلفة من الحجرة، كانت هناك بعض

اللافتات واللوحات الإرشادية الصغيرة، التي تحمل بعض التعليمات الطبية ..

وكانت كلها بلغتين، لاثالث لهما ..

الإنجليزية ..

والعربية ..

وقفز سؤال كبير إلى رأسه، مع وقوع بصره على اللوحات العربية ..

تري ماذا حدث؟! ..

آخر ما يذكره هو هبوطه بالمظلة، من سطح مبنى (روتشيلد) ..

وظهور الهليكوبتر ..

والرصاصات ..

ثم انتهى كل شيء ..

ووفقًا للترتيب المنطقي، وحتى للمنطق الأمني

الطبيعى ، فالمفترض أن يكون الآن فى قبضة
الإسرائيليين ..

ولكن اللوحات فى المكان توجى بالعكس تمامًا ..
لقد عاد إلى (مصر) ..

لقد اتقنوه ، وأعادوه إلى الوطن ..

صحيح أنه يشعر بالآلم لاحتصر لها ، فى صدره
وظهره وعنقه ، إلا أنه هنا ..

فى (مصر) ..

« رياه !.. لقد استعدت وعيك .. »

هتفت الممرضة بالعبارة ، بلغة عربية ، ولهجة
مصرية خالصة ، وهى تهباً من مقعدها ، وتدفع
نحوه ، بتلك الكرامة الطبية الواقية ، التى تخفى معظم
وجهها ، مكتملة :

- حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

ازرد (عماد) لعبه فى صعوبة ، وهو يقول :
- أين أنا ؟!

نطقها بلهجة المصرية ، فى تهلك مرهق ، وهو
بيذل جهدًا خرافيًا ؛ للتشبيث بوعيه ، فأجابته فى
هدوء ، وعيناها الواسعتان السوداوان تحملان ضحكة
كبيرة :

- أنت هنا فى حجرة العناية المركزة ، فى مستشفى
القوات المسلحة فى (المعادى) .

غمغم فى لهفة :

- (المعادى) ؟! إذن نحن فى (مصر) !

أجابته فى هدوء :

- بالتأكيد .

أسبل جفنيه ، متممًا فى ارتياح :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

نطقها ودارت الدنيا كلها في رأسه ، وانقضت سحابة
سوداء قامتة على عقله ، وبداله صوت الممرضة ،
وكانه يأتي من أعماق سحيفة ، وهي تقول :

- الرؤساء ينتظرون عودتك إلى وعيك هذه بفارغ
الصبر ، و ..

ولم يسمع باقى العبارة أبداً ..

فدون سابق إذار ، عاد إلى غيبوبته العميقة ..

ودفعة واحدة ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلّت الممرضة تفحصه في دقة
وحذر ، حتى تأكدت من أنه قد عاد حقاً إلى غيبوبته ،
قبل أن تزيح الكمامة عن وجهها ، وتكشف إصابتين
في جاتبيه ، وهي تلتقط هاتفها المحمول ، وتضغط
أزراره ، قلقة :

- أنون (شيمون) .. أنا (راشيل) .. خطتك العقرية
نجحت على نحو مدهش ، في مرحلتها الأولى .

ثم رمقت (عماد) بنظرة مقت ، قبل أن تضيف في
حزم :

- إنه مصرى .

وهذه الكلمة أيضاً ، لم يسمعها (عماد) ..

ثم يسمعها أبداً ..

* * *

كان بالفعل اختباراً ، كما قال (أشرف) ..

اختباراً في القوة ، والسرعة ، ورد الفعل أيضاً ..

ففي نفس اللحظة التي ضغط فيها (شندلر) زناد
مسدسه ، أو قبلها بنصف الثانية تقريباً ، وعلى الرغم
من عامل المفاجأة ، تحرك (أشرف) بسرعة مدهشة ،
فوثب جانباً ، ودار حول نفسه بمهارة ورشاقة
ومرونة ، ليركل الإسرائيلي في صدره بكل قوته ..

وانطلقت رصاصة (شندلر) ، لتمرق على مسافة

سنتيمتر واحد من رأس (منى) ، في نفس اللحظة
التي ارتطم فيها جسده بالنافذة ، مع قوة ركلة
(أشرف) ، وحطم زجاجها ، ثم هوى ، وهو يطلق
صرخة رهيبية ..

صرخة انتهت ، بعد ارتطام جسده بلشارع في عنف ..
وعلى نحو يناقض الموتى ، شحب وجه (جراهام) ،
وهو يهتف :

- لا .. لا .. الرحمة .

هزت (منى) رأسها ، قائلة :

- عجباً لهؤلاء القوم .. يتصرفون كالأسود ، إذا
ماتصوّروا أنهم أقوى ممن حولهم ..

ثم لكت (جراهام) لكمة ساحقة ، في أسنانه مباشرة ،
مضيفة :

- ثم يتحولون إلى نعاج مذعورة ، عندما يدركون
الحقيقة .



ثم لكت (جراهام) لكمة ساحقة في أسنانه مباشرة ، مضيفة :
- ثم يتحولون إلى نعاج مذعورة ..

ارتج جسد (جراهام) في عنف ، ووثبت واحدة من
أسنانه الأمامية عبر شفتيه ، قبل أن يسقط على وجهه
كالحجر ، عند قدمي (منى) تمامًا ..

وفي منزل المراقبة الإسرائيلية ، هتف (دونهام)
مستنكرًا ، وهو يراقب ما حدث على الشاشة :

- أرايت يا أدون (شيمون) ؟! ..

هزّ (شيمون) رأسه ، قائلاً :

- أمر مؤسف بالفعل .

التفت إليه (دونهام) ، هاتفاً في دهشة :

- لماذا تركته يحدث إذن ؟! ..

رمقه (شيمون) بنظرة ساخرة ، وهو يكمل ، وكأنه
لم يسمعه :

- أمر مؤسف ألا يسقط (جراهام) الغبي ، بدلاً من
(شندلر) المسكين .

اتسعت عينا (دونهام) في دهشة ، وهو يقول في
عصبية :

- هل ستترك المصريين يفلتون بفعالهم هذه ؟!

نهض (شيمون) من مقعده ، قائلاً في صرامة :

- لا تتصرف بنفس الغباء والحمافة ، اللذين تصرف
بهما ذلك الحقيير (جراهام) ، حتى لا يصبح مصيرك
كمصيره .

ارتبك (دونهام) ، وهو يتمتم :

- أدون (شيمون) .. إبنى ..

تجاهله (شيمون) تملناً ، وهو يتابع بنفس الصرامة :

- كنت واثقاً من أن عقله المحدود لن يستوعب
أوامري ، وأنه سيسعى لمراقبة المصريين ، بالأسلوب
التقليدي الوحيد ، الذي يجيده في عمله .

تساعل (دونهام) في حيرة :

- لماذا تركته يفعلها إذن ، على الرغم من أن هذا
يفسد ماتسعى إليه عملياً .

التقط (شيمون) نفساً عميقاً ، وراقب شائكة الرصد
بضع لحظات فى صمت ، متابعاً خروج (منى)
(أشرف) من المكان فى سرعة ، قبل أن يقول :

- فى المعتاد ، لا أميل لشرح أسلوب عملى للأخرين ،
باعتبار أنه من العسير عليهم استيعابه ، ولكن
حيرتك الواضحة ، ولهفتك المخلصة للمعرفة ، أقتعاني
بضرورة خلق جيل جديد ، يؤمن بأسلوبى الفريد .

واعتلد ، مكملاً فى حزم :

- لقد تركت (جراهام) يخالف أوامرى لهدفين
رئيسيين .. أولهما : إيهام المصريين بأن اللعبة تدور
بالأسلوب التقليدى المحض ، بحيث تتناسب ردود
أفعالهما معه ، دون أن يتصاعد تفكيرهم ، أو يسمو
للأسلوب المبتكر ، الذى أثير به اللعبة هذه المرة .

سأله (دونهام) فى لهفة :

- وماذا عن الثانى ؟

لوح (شيمون) بيده ، قائلاً :

- الواقع أن المصريين طوّروا الهدف الثانى ، من
حيث لم أتوقع أبداً ، فكل ما كنت أطمح إليه هو أن
يبادر الرجل والمرأة بالفرار من منزلهما الآمن ،
الذى توصلنا إليه بعقربة ، إلى المنزل الاحتياطى ،
الذى يصعب علينا فى المعتاد التوصل إليه ، دون أن
يدركوا أننا نلتصق بهم ، التصاقاً يصعب الفك منه ،
ولكن الاثنين طوّرا الأمر إلى هجوم مباشر ، لا يعدّ
تقليدياً أبداً فى عالمنا ، واشتباك مع ذلك الأحمق
(جراهام) ومساعدته ، ليلقى الأخير مصرعه ، وينال
الأول ما يستحقه .

وتراقصت ابتسامة متشفية ، على ركن شفتيه ، وهو
يضيف :

- وسيمنحنى هذا كل الحق ، فى استبعاده من العملية
تماماً ، وإعادته إلى (تل أبيب) .

تألفت عينا (دونهام) ، وهو يقول :

- هذا سيسعدنى بالتأكد .

ثم عاد يسأل فى قلق :

- ولكن المصريين سيغادران مكمنهما الآن حتماً .

ابتسم (شيمون) فى ثقة ، مجيباً :

- بالضبط .

تردد (دونهام) بضع لحظات ، قبل أن يسأله فى حذر :

- أنت واثق من أنهما لن يغلتا منا ؟!

أجاب (شيمون) فى حزم :

- تمام الثقة .

ثم همّ بشرح ما يعنيه ، عندما تطلق رنين هاتفه المحمول فجأة ، فالتقطه فى سرعة ، وألقى نظرة على شاشته ، قبل أن يضعه على أذنه ، قائلاً فى اهتمام شديد :

- إنها (راشيل) .

استمع إليها فى اهتمام ، وتألفت عينا فى ظفر ، وهو بهتف :

- كنت واثقاً من هذا .. كنت واثقاً من أنه مصرى .

ثم تضاعف انفعاله ، وهو يتابع فى صرامة :

- استدع الطاقم الطبى الخاص ، الذى أحضرناه من (تل أبيب) .. لا أريد كلمة واحدة عبرية ، وإلا فأقسم أن أسف رأس من ينطقها .. أريده أن يقتنع ، دون أننى بادرة من الشك ، عندما يستعيد وعيه مرة أخرى ، أنه فى (مصر) .. هل تفهمين ؟!

أنهى المحادثة ، والتفت إلى (دونهام) ، الذى هتف فى حماسة :

- هل نجحت الخطة ؟! هل تصوّر أنه فى (مصر) بالفعل ؟!

أجاب (شيمون) فى حزم :

- نعم .. ولكنه فقد وعيه مرة ثانية ، كما قال الأطباء ، وهذا يعني أنه قد يعود إلى الوعي ، على نحو أكثر تركيزاً ، خلال ساعتين على الأكثر ، مما يحتم عودتي إلى السفارة مباشرة ؛ لإدارة العملية كلها من هناك ، أما أنت ، فستتولى أمر المصريين ، على أن تيلقني بكل تطورات الموقف أولاً فلولاً .

أشار (دونهام) ببهامه ، قائلًا :

- وماذا عن (جراهام) ؟!

ألقى (شيمون) نظرة على شاشة الرصد ، قبل أن يجيب :

- سقوط (شندلر) ، سيجعل المكان يكتظ برجال الشرطة الإيطالية بعد قليل ، وعندما يعثرون عليه ، سيخضعونه لاستجواب قاس ، مما سيزيد من تورطه في الخطأ .

وصمت لحظة ، وهو يرتدى معطفه ، قبل أن يضيف باهتسامة شامتة :

- وهذا أفضل ما نسعى إليه .

اتسعت ابتهامة (دونهام) ، وهو يقول :

- بالتأكيد ياسيد (شيمون) .. بالتأكيد .

لم يجب (شيمون) العبارة ، وإنما اندفع بخارج المكان ، تاركاً (دونهام) خلفه ، وهو يخرج جهازاً صغيراً من جيبه ؛ ليتابع به مهمته الرئيسية ..

مهمة إحكام السيطرة على المصريين ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« توقف هنا .. »

هتفت (منى) بالعبارة فجأة ، وهي تجلس داخل السيارة ، التي يقودها (أشرف) ، عبر شوارع (روما) ، في طريقها إلى المنزل الآمن الاحتياطي ، فضغط رجل المخابرات فرامل السيارة بحركة آلية ، وتوقف بها إلى جوار الطريق ، متسائلاً :

- ماذا هناك ؟!

تراجعت في مقعدها ، محاولة تركيز أفكارها ، وهي تسأله :

- هذه نفس السيارة ، التي ذهبنا بها إلى مبنى (روتشيلد) .. أليس كذلك !؟

أجابها ، وهو يعتدل ليواجهها في اهتمام :
- بلى .

أشارت بسببائها ، قائلة :

- هذا هو التفسير الوحيد إذن .

أظلمت تساؤل مخلص من عينيه ، فتأملت في اهتمام وتركيز :

- أنت تؤكد أن أحداً لم يتبعنا ، في أثناء ذهابنا إلى ذلك المبنى ، أو العودة منه ، ولأنك محترف ، فليس هناك فئس شك في صحة هذا ، فكيف حددوا منزلنا الآمن إذن !؟
غمغم :

- ربما كشفوا أمره مسبقاً .

هزت رأسها ، قائلة :

- هذا غير وارد ؛ لأن المراقبة لم تبدأ ، إلا بعد عودتنا من مبنى (روتشيلد) ، وإلا لكشفنا أمرها قبل هذا .

سألها في اهتمام :

- ما الذي يدور في ذهنك بالضبط !؟

لوحت بيديها ، قائلة :

- دعنا نتخيل الأحداث ، وفقاً لما لدينا من معطيات ..
الإسرائيليون يعلمون أننا سنسعى لدراسة المنطقة ، التي وقع فيها حادث (عماد) ، بأية وسيلة ممكنة ، ولو أنهم بالذكاء الكافي ، فسيحيطون المكان بمراقبة دقيقة ومكثفة ، ومن المحتم أنهم قد رصدوا قدومنا ، في هذه السيارة .

قال في توتر :

- ولكننا قضينا بعض الوقت على سطح المبنى ، ولم يتصد لنا أي واحد منهم !

قالت في سرعة :

- هذا بالضبط ما أثار شكوكي .. إتهم محترفون ، ويعلمون أننا سنسعى إلى المكان حتمًا ، وعلى الرغم من هذا فقد وصلنا إليه بمنتهى اليسر ، دون أن نحتاج حتى إلى استخدام بطاقات جريدة (هيرالد تريبون) المزورة ، ولم يعترضنا رجل أمن واحد ، فكيف يمكن أن يصبح هذا منطقيًا ، إلا إذا كانوا يفسحون لنا الطريق عمدًا .

التقى حاجباه ، وهو يقول :

- اتعنين أنهم يحاولون تجنيد جهودنا لحسابهم ؟
أجابته في حزم :

- بالضبط .. يتركوننا نبذل قصارى جهدنا ، للتوصل إلى تلك البطاقة ، ثم ينقضون علينا في اللحظة الأخيرة ؛ لانتراعها منا ، والفوز بها .

غمغم :

- ياللاؤغاد !

ثم استطرد في سرعة :

- ولكنه للتفسير المنطقي الوحيد بالفعل ، وهو يعنى أنهم قد حددوا مسيرتنا ، عندما رصدوا وصولنا إلى مبنى (روتشيلد) ، و ...
تأقت عيناه ، وهو ينظر إلى عينيها مباشرة ، فهتفت :

- السيارة !

ودون كلمة إضافية واحدة ، غادر كلاهما للسيارة ، وانطلقا مبتعدين عنها ، سيرًا على الأقدام ، لماتنى متر كاملة ، قبل أن يقول (أشرف) فى حزم :

- دعينا نتيقن أولاً من أن أحدا لا يتبعنا ، قبل أن نتجه إلى المنزل الآمن الاحتياطى .

هزت رأسها ، قائلة :

- لن نجد من يتبعنا .. لن يجازفوا بهذا ، حتى لانكشف أمرهم مرة ثانية .

وصمت لحظة ، قبل أن تضيف في حزم صارم :

- لقد أداروا اللعبة باحتراف حقيقي ، وعلمنا أن نثبت لهم أنه ، في لعبة المحترفين ، لن ينتصر سواتا .

نطقتها ، وكل ذرة من عقلها وكيانها تهتف باسمه واحد ..

الاسم الذي احتل وجودها كله ، والذي تنشد باسمه كل نبضة في قلبها ..

اسم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وبعيون جافة ، اتهمرت الدموع في أعماقها غزيرة ..

غزيرة إلى أقصى حد ..

دموع لم تحجب عنها الاسم الأكبر ، الذي لا تتردد لحظة في بذل حياتها من أجله ..

اسم (مصر) ..

* * *

استبدل (شيمون) ثيابه في سرعة ، داخل حجرته الخاصة ، في السفارة الإسرائيلية ، وهو يسأل (راشيل) في اهتمام :

- إن فقد أقتعه ما صنعناه أنه في (مصر) .

أجابته ، وهي تتحسس جرح وجهها في بغض :

- تمام الإقناع .

سألها في اهتمام ، وهو يرتدى حلة أنيقة :

- متى يتوقعون استعادته لوعيه ؟!

مطت شفقتها ، مجيبة :

- خلال ساعتين على الأكثر .

قال في حزم :

- لابد أن يكون كل شيء معداً عندئذ .

غمغت :

- اطمئن .

رمقها بنظرة صارمة ، وهو يسألها :

- ماذا بك ؟ .. تبدين كما لو أن كل ما يحدث هنا لا يروق لك .

أجابته في سرعة :

- خطتك عبقرية يا أدون (شيمون) .

ثم مطت شفيتها ، مستطردة :

- ولكنها غير مبتكرة .

لم ترق له عبارتها ، فقال في صرامة :

- ربما استخدمت اللعبة نفسها ، من قبل النازيين ،

خلال الحرب العالمية الثانية ، لخداع عميل بريطاني ،

وانتزاع معلومات بالغة السرية والخطورة منه ،

بإقناعه أن الحرب قد انتهت ، وأنه لم تعد هناك أهمية

لتلك المعلومات^(*) ، ولكن الاستفادة من دروس التاريخ ليست ضعفاً ، بل هي عامل من عوامل القوة .

قالت في ضيق واضح :

- عالمنا يعتمد على الابتكار .

أجابها في صرامة :

- كثيراً ما يكون استعادة التقليديت نوعاً من الابتكار ،

في عالم أصبح يتوقّع الجديد دوماً .

عادت تمط شفيتها ، متممة :

- ربما .

رمقها بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يسألها في

حدة :

- ماذا هناك بالضبط ؟! الخدعة التي نعدّها لذلك

المصري ، ليست السبب الحقيقي لغضبك هذا .

(*) صنية حقيقة .

تقاطر المقت من شفرتها ، وهي تقول :

- تلك المصرية .

انعقد حاجباه ، فتابعت في حدة نائرة ، وهي تشير إلى جرحى وجهها :

- لقد أفسدت وجهى تماماً ، ولا بد أن تدفع الثمن .

قال في غضب :

- بدأت تتصرفين مثل ذلك الأحمق (جراهم) .

أشاحت بوجهها في حنق ، فتابع في صرامة :

- لكل شيء وقته .

لوحت بيدها ، هاتفة :

- مادامت الخدعة قد أفلحت ، مع رجل المخابرات

المصرى في القبو ، فلا يوجد مبرر واحد ، للإبقاء

على حياة تلك المصرية .

قال في صرامة :

- الخطة لم تحقق هدفها بعد ، والخدعة لن تكتمل ،
حتى نحصل على ما نريد ، من ذلك المصرى في القبو ،
ونستعيد بطاقة التسجيل الرقمية بالفعل .

سألته في سرعة :

- وعندئذ ؟

أجابها بنفس السرعة ، دون أن يتخلى عن صرامته :

- وعندئذ ، ستكون المصرية من نصيبك .

تهللت أساريرها ، على الرغم من المقت المطلق من
عينها وصوتها ، وهي تقول :

- يكفينى هذا الوعد ، يا أدون (شيمون) .

قالتها ، وأسرعت تغادر المكان في ارتياح وحشى ،
فقط هو شفتيه هذه المرة ، وهو يقول في مقت :

- غيبة .

ثم عقد رباط عنقه ، مستطرذا :

- أمور عديدة تحتاج إلى إعادة تأهيل هنا .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع رنين هاتفه للمحمول ،
بنغمة خاصة ، جعلته يلتقطه في لهفة ، مغمغماً :

- ماذا تريد (تل أبيب) الآن ؟!

ضغط زر الاتصال ، وهو يسأل :

- (شيمون) .. هل من جديد ؟!

سمع صوت رئيسه في (تل أبيب) ، يهتف به في
انفعال :

- اسمعني جيداً يا (شيمون) .. مصادرتنا أرسلت
الآن معلومة ، غاية في الأهمية والخطورة ، رأيت أن
أبلغك بها فوراً ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

التقى حلجبا (شيمون) ، وهو يسأله في توتر :

- أية معلومة تلك ؟!

وألقى إليه رئيسه المعلومة ..

واتعقد حلجبا (شيمون) بمنتهى الشدة والتوتر ..

فالمعلومة كانت بالفعل مهمة ..

مهمة وخطيرة ..

إلى أقصى حد ممكن ..



٤ - الغموض ..

مط مفتش الشرطة الإيطالية (باولو) شفتيه ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، داخل شقة المراقبة الإسرائيلية ، التي اشتبكت فيها (منى) وزميلها ، مع (جراهام) ومساعدته ، قبل أن يقول :

- من الواضح أن المكان كان يُستخدم لمراقبة نافذة ما ، من نوافذ المبنى المقابل .

قال مساعدته (ماتياتي) ، وهو يشير إلى الأجهزة المنتشرة في المكان :

- ليست مراقبة عالية ، فهذه الأشياء تساوى ثروة .

غمغم (باولو) :

- هذا صحيح .

فحص الأجهزة بدوره ، قبل أن يلتفت إلى أحد رجال الشرطة ، متسائلاً :

- هل استجوبتم الجيران ، وطاقم أمن المبنى !؟

أجاب الرجل في احترام :

- الجيران سمعوا المشاجرة ، وصوت طلق نارى ، ولكن أحدهم لم يحاول حتى الخروج من منزله ، خشية لتعرض للأذى ، أما طاقم الأمن ، فلهيهم الكثير بالفعل .

سأله في اهتمام :

- مثل ماذا !؟

أجاب الرجل في سرعة :

- لقد هوجم حارس المبنى الرئيسي ، من قبل مجهولين ، لم يرصدتهم أحد من باقى الطاقم ، ولا يمكن تحديد عددهم بدقة ، ولكن من الواضح أنهم المسلولون عن هذا الهجوم .

تساءل (ماتياتي) :

- أهذا كل شيء !؟

تردد الرجل لحظة ، قبل أن يقول :

- هناك أمر آخر ، ولكن ..

سأله (باولو) في خمونة ، عندما لم يستطع الاستمرار :

- ولكن ماذا ؟!

هز الرجل رأسه ، قائلاً :

- أحد أفراد الطاقم ، قال : إنه ، في أثناء إسراعه إلى هنا ، بعد نوى الطلق الناري ، التقى بكهل أشيب الشعر ، يحمل مصاباً على كتفه ، ويهرول به إلى المصعد ، وعندما التقى بالحارس ، هتف به أنه هناك مصابون آخرون ، يحتاجون إلى إسعاف عاجل .

تبادل (باولو) نظرة متوترة مع (ماتيلدى) ، قبل أن يقول الأخير ، في صرامة قاسية خشنّة :

- كهل يحمل رجلاً بالغاً على كتفه ، ويهرول به إلى المصعد ؟! ألا يبدو لك هذا أمراً غير منطقي يارجل ؟!

وافقه رجل الشرطة بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- إنه أمر غير منطقي بالفعل ، ولكن الحارس لم ينتبه إلى عدم منطقيته ، إلا بعد فوات الأوان ، وعندما عاد للبحث عن ذلك الكهل الزائف ، لم يعثر له على أدنى أثر :

تبادل (باولو) و (ماتيلدى) نظرة أخرى ، ثم قال الأول :

- وماذا عن ذلك المكان ، في المبنى المقابل ؟! هل تم استجواب قاطنيه ؟!

هز رجل الشرطة رأسه قائلاً :

- لم نعثر على أى مخلوق هناك .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في توتر :

- ولكننا وجدنا عدة أجهزة كهذه .

أطلت الدهشة من عيني الرجلين ، قبل أن يغمغم (ماتيلدى) :

- إنه عمل من أعمال (المافيا) .

انعتقد حاجبا (باولو) ، وهو يقول في صرامة :

- بل يتجاوز هذا بكثير .

ثم أشار بيده ، مستطردًا في توتر :

- الرجل الذي سقط من هنا ، يحمل جواز سفر
إسرائيليًا .. جواز سفر دبلوماسيًا .. هل يمكنك أن
تفهم ما يعنيه هذا!؟

امتقع وجهه (ماتيانى) ، وهو يقول :

- رباه! .. هل تعتقد أن ..

قاطعته (باولو) في حزم :

- نعم .. أعتقد هذا .

وصمت لحظة ، ثم تابع في حدة ، وهو يلوح
بذراعه كلها :

- هل تعتقد أن لعبة الكهل الزائف هذه ، من

أعمال (المافيا) ؟ خطأ يارجل .. رجال (المافيا)
قصة القلوب ، عذيفو النزعة ، ولكنهم يلجنون قط
إلى التتكر ، أو اللعب بمثل هذا الإتيقان ، إلا من
القاحية القانونية فحسب ، التي يرعاها جيش من
المحاميين ، الذين نزعوا عنهم ضمانتهم ، قبل أن
يرتدوا ثوب مهنتهم .. هذه العملية أكبر من هذا
بكثير .. إنها حرب يارجل .. حرب بين أجهزة
مخابرات قوية ، أحدها حتمًا هو جهاز المخابرات
الإسرائيلية ، الذي يبدو من الواضح أنه قد خسر
معركته ، أو جولته هنا .

اندفع (ماتيانى) يقول :

- جهاز المخابرات الآخر عربى إذن .

أوما (باولو) برأسه موافقًا ، وقال في حزم :

- ومصرى على الأرجح .

ثم عاد يدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يضيف فى

توتر صارم :

- السؤال الآن هو : من ذلك للكهل لزانف ؟ إلى أي
جهاز ينتمي ؟! ومن ذلك الذي حملة من هنا ؟! من ؟!
ولم ينبس (مانياتي) بيئت شفة ..
فجواب كل هذه الأسئلة بدا له غامضاً ..
عامضاً للغاية ..

* * *

احتقن وجه (دافيد دونهام) في شدة ، وهو يوقف
سيارته ، خلف السيارة التي تركها (أشرف) و (منى) ،
ويلقى نظرة عليها ، مغمغماً في توتر :

- لقد خدعنا .. كيف أبلغ أدون (ثيمون) بهذا ؟!
تردد بضع لحظات ، قبل أن يهبط من السيارة ،
ويتجه نحو سيارة (أشرف) ، وراح يدور حولها
بضع لحظات ، وكأنما يرفض تصديق كونها خالية
أمام عينيه ، ثم لم يلبث أن كرر في عصبية :
- لقد خدعنا .

٩٨

اتحنى يلتقط جهاز التتبع الدقيق ، الذي لايزيد
حجمه على حجم قرص دواء عادي ، والذي تم إصقله
خلسة ، في زاوية خفية من جسم سيارة (أشرف)
و (منى) ، ومطّ شفتيه ، مغمغماً :
- كيف أبلغه أننا قد فقدنا أثره .

هز رأسه مرتين ، ثم أضاف في مرارة :

- لن يتردد في قتلني ، بلارحمة أو شفقة .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع رنين هاتفه
المحمول بغتة ، فانتفض جسده كله في عنف ، قبل
أن يلتقطه ، ويلقى نظرة على شاشته ، قائلاً بكل
شحوب الدنيا وذعرها :
- إنه هو .

وعلى الرغم من شهرته بين أقرانه ، بالمشجاعة
والقوة ، إلا أنه شعر بأصابعه ترتجف حقاً ، وهو
يضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- أدون (شيمون) .. كنت على وشك ..

قاطععه (شيمون) في توتر :

- (تل أيبب) أخبرتنى الآن ، بأمر خطير للغاية .

لزرد (دونهام) لعبه في صعوبة ، وهو يسأله في
تردد :

- أي أمر هذا ؟!

أجابه (شيمون) في سرعة :

- (جيهان) .. زميلة (أدهم صبرى) ، التي كانت
تعالج من إصابتها في مستشفى دونا (كارولينا)
في (نيويورك) ، وصلت إلى (القاهرة) مساء أمس ،
في طائرة خاصة ، ملك شركة (أميجو صاندو)
للإلكترونيات .

لزرد (دونهام) لعبه مرة أخرى ، قبل أن يسأل
في حذر :

- وما المفترض أن يعنيه هذا ؟!

هتف به (شيمون) في حدة :

- افهم يا رجل .. تلك الطائرة الخاصة توقفت في
(روما) لتفائق معدودة ، قبل أن تواصل رحلتها إلى
(القاهرة) .

لم يستوعب (دونهام) الأمر ، فلاذ بالصمت ، والحيرة
تملأ ملامحه ، فهتف به (شيمون) في غضب :

- ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟!

ارتبك (دونهام) ، وهو يقول :

- أدون (شيمون) .. إتنى ..

قاطععه (شيمون) ، وهو يهتف في حدة :

- (أدهم صبرى) هنا أيها الغبي .

اتسعت عينا (دونهام) عن آخرهما ، وهو يقول
في ارتياح :

- (أدهم صبرى) ؟؟ هنا ؟! ألم يلق مصرعه هناك ،

في مبنى دونا (كارولينا) في (نيويورك) !!

بدا صوت (شيمون) غاضباً بشدة ، وهو يقول :
- هذا ما حاولوا إيها منا به ، عبر خدعة ما .. خدعة
متقنة ، إلى الحد الذى انطلت فيه علينا جميعاً .
هز (دونهام) رأسه فى قوة ، وكأنما يعجز عن
تصديق الخبر ، وهو يقول :

- مستحيل ! هناك أمر لا أستطيع فهمه أو استيعابه
يا أنون (شيمون) .. مصادرنا أكدت أن خلافاً عنيفاً
قد نشب ، بين (أدهم صبرى) هذا ودونا (كارولينا) ،
نتج عنه قتل عنيف ، داخل المبنى الرئيسى لها ،
انتهى بحصار رجال دونا لرجال المخابرات المصرى ،
فى مكتبها ، فى الطابق الثالث والستين ، و ..
قاطعها (شيمون) بنفس اللهجة :

- هناك نقاط مزال غامضة .. ربما قررت (كارولينا)
الحفاظ على حياة (أدهم) لسبب أو آخر ، فلا يمكنك
قط أن تستوعب طرق وأساليب تفكير النساء ،
والإيطاليات على وجه الخصوص .

عاد (دونهام) يهز رأسه ، قائلاً :

- أهذا مجرد استنتاج يا أنون (شيمون) ، أم ...
قاطعها (شيمون) مرة أخرى فى صرامة :

- (تل أيبب) تؤكد صحة المعلومة ، من خلال
عجيل لها ، فى مطار (روما) ، أمكنه تعرّف
(أدهم) ، الذى دخل (إيطاليا) بجواز سفر
أمريكى ، باسم (أميجو سانتو) ..

واستعاد صوته رنة الغضب ، وهو يضيف فى
عصبية ، فلما حملتها لهجته :

- رجل المخابرات المصرى يتحدثنا ، ويعيث بنا ،
ويواجهنا بأوراق مكشوفة .

صمت (دونهام) تماماً ، وعقله مزال يجاهد ، محاولاً
استيعاب الموقف ، ثم لم يلبث أن سأل فى توتر :

- أنون (شيمون) .. وفقاً لهذه المعلومات ، يفترض
أن (أدهم صبرى) هذا هنا ، منذ ما يزيد على ست أو

سبع ساعات كاملة ، فكيف يمكن أن يظل ساكناً ،
طوال كل هذا الوقت ، وسط أحداث عنيفة كهذه ..

أجابيه (شيمون) في صرامة :

- بل هو هنا ، منذ ما يزيد على اثنتى عشرة ساعة
يارجل .

وقسا صوته على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- أى من قبل حتى أن تصل تلك المصرية إلى
(روما) .

جفاً حلق (دونهام) ، وهو يقول :

- ماذا تريد أن تقول يا أدون (شيمون) !؟

خيل لـ (دونهام) أن موجات اللاسلكى الرقمية قد
حملت صوت أفكار (شيمون) ، ممتزجاً بصوته
الصارم ، وهو يقول :

- لريد أن أقول : إن ذلك للمصرى محترف .. محترف
حقيقى .

ثم سأل فجأة :

- أما زالت تحكم سيطرتك على المصريين !؟

كان هذا هو السؤال ، الذى ترتجف له كل ذرة فى
كيان (دونهام) مسبقاً ، لذا فقد شعر بجسده كله
ينتفض مع سماعه ، واختنقت كلماته فى حلقه الجاف ،
حتى لم يصدر منه سوى حشجة عصبية ، جطت
(شيمون) بهتف فى غضب :

- لا تقل لى : إنك قد فقدت أثرهما .

بذل (دونهام) جهداً خارقاً ؛ ليقول فى خفوت
شاحب :

- لقد كشفنا أمر جهاز التعقب ، وتخلياً عن السيارة
كلها يا أدون (شيمون) .

كان يتوقع ثورة غاضبة من رجل المخابرات
الإسرائيلى ، لذا فقد بلغت دهشته ذروتها ، عندما
سمعه يردد :

- يا للبراعة ! .. إنهم محترفون بحق .

أزرد لعبه في صعوبة ، وغمغم :

- أدون (شيمون) .. إننى لم أكن أملك سوى جهاز
التتبع ، و ...

قاطعه (شيمون) فى حزم :

- فليكن .. أنا أعلم جيذا أين نجدهما فيما بعد ..
المهم أن تعود إلى السفارة فوراً ؛ لتمارس عملك
الرسمى ، فى تأمينها وحمايتها ، وخاصة خلال الساعات
القليلة القادمة ، التى ستشهد حسم العملية كلها ..

ولم ينطق (دوتهام) بحرف واحد ..

ولكنه أدرك مدى خطورة تلك الساعات التالية ..

ساعات الخطر ..

والحسم ..

* * *

ارتسمت دهشة عارمة ، على وجه مساعد مدير
المخابرات العامة المصرية ، وهو يقول ، فى لهجة
حملت لمحة من الاستنكار :

- سيادة العميد (أدهم) هناك !؟ فى (روما) !؟

وكيف لم نعلم بهذا حتى الآن ياسيدى !؟

أشار المدير بسببته ، قائلاً فى حزم :

- من الواضح أن (ن - ١) كان يرغب فى كتمان
الموقف إلى أقصى حد ، حتى يصل إلى (روما) .

قال المساعد الثانى ، فى شيء من الضيق :

- لم يكن من المفترض أن يسرى هذا الكتمان

علينا ياسيدى ..

ابتسم المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- كلكم تعرفون (ن - ١) ، مثلما أعرفه تماماً ، وإذا

كان هناك ما يعنيه في الوجود، فهو (مصر)، وأمن (مصر)، وسلامة (مصر) .. وهو يعلم جيدًا أن الموقف الدولي الحالي شديد الحساسية والتوتر، منذ حادثة سبتمبر، عام ألفين وواحد، ولقد منحت الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها صلاحيات غير قانونية وغير شرعية، منذ ذلك الحين، بحيث ألقت خلف ظهرها كل ما تنادي به، من قواعد الديمقراطية والعدل والمساواة، وراحت تتجسس بوقاحة وعلانية، على كل الاتصالات، كما راحت تتبادل مع ربيبته (إسرائيل) كل ما لديها من معلومات ووثائق، وصور أقمار صناعية .. وتلك الأوراق، التي عثر عليها (عماد)، والتقط صورها، والتي تبحث عنها المخابرات الإسرائيلية في استماتة، هي السلاح الوحيد، القادر على قلب الأوضاع العالمية رأسًا على عقب، وكشف الخديعة الصهيونية الكبرى، أمام العالم كله، و (ن - ١) يعلم أنهم مستعدون لإفناء نصف العالم، في سبيل استعادة بطاقة تسجيل

الصور الرقمية، أو محوها من الوجود، وأنه لا سبيل لمنعهم من هذا، سوى اتخاذ أقصى درجات الحيلة والحذر، بحيث لا ينكشف السر، حتى عبر الموجات اللاسلكية أو الرقمية، في ظل شبكة التنصت الأمريكية الكبرى.

تبادل المساعدان نظرة، أعلنت تفههما للموقف، قبل أن يتساعل الأول في اهتمام:

- كيف يتفق هذا مع وصول سيادة العميد (أدهم) إلى (روما)، بجواز سفره الأمريكي، على نحو سافر صريح.

عاد المدير يشير بسبابته، مجيبًا:

- هذا جزء من خطته.

لم يحاول مناقشة الخطة معهما، وتفهماها الموقف على الفور، ولكن المساعد الثاني تساعل:

- ما لا أفهمه حقًا، هو لماذا تركت دونا (كارولينا)

سيادة العميد يرحل بسلام ، بعدما سيطر عليه رجالها ،
فى الطابق الثالث والمستين ، من مبناها الرئيسى فى
(نيويورك) ؟

صمت المدير طويلاً هذه المرة ، قبل أن يلوّح
بيده ، قائلاً :

- هذا ما سيخبرنا به (ن - ١) حتماً ، بعد انتهاء
عملية الأوراق الإسرائيلية المكشوفة .

وعاد إلى صمته لحظة ، ثم أضاف فى خفوت :
- كما أتعثّم .

ولم يلق المساعدان مزيداً من الأسئلة ..

فالموضوع كله كان ، بالنسبة لهما ، مغلقاً
بالغموض ..

كل الغموض ..

* * *

١١٠

ظل (شيمون) صامتاً ، لخمس دقائق كاملة أو يزيد ،
وهو يتطّلع إلى (عماد) ، الغارق فى غيبوبته ، قبل
أن يلتفت إلى الطبيب الجديد ، القائم من (تل أبيب) ،
ويسأله بالعبرية :

- متى سيعود إلى وعيه فى رأيك ؟!

أجابهُ الطبيب ، بلهجة مصرية خالصة :

- خلال ساعة على الأكثر .. هكذا تقول معدلاته
الحيوية .

غمغمت (رائيل) ، فى مقت واضح :

- بعدها سأتولى أمر المصرية ، و ...

قاطعها (شيمون) بالتفاتة سريعة ، ليهوى على
وجهها بصفعة قوية قاسية ، جعلتها تطلق شهقة
قوية مذعورة ، قبل أن تصرخ بالعبرية :

- كيف تجرؤ .

التقط مسدسه بسرعة مذهشة ، وأصقه بجبهتها ،
قائلاً فى غضب هادر ، وباللهجة المصرية :

- غباؤك سينسف الأمر كله من الأساس .

هتفت في غضب :

- كنت أتحدث بالعربية كما أمرت .

قال في صرامة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، وكأنه
يهم بإطلاق النار على رأسها بالفعل :

- ربما ، ولكن بأسلوب إسرائيلي بحت ، وهذا الراقد
أمامك رجل مخابرات مصري ، مما يعني أنه ليس
سانجاً أو محدود الذكاء والبراعة ، حتى وهو غارق
في غيبوبته هذه ، أو لا يكاد يخرج منها ، ومجرد
الحديث بالعربية ، حتى ولو كان بلهجة مصرية
خالصة ، لن يكفى لخداعه .. لابد أن يكون كل
ما يحيط به مصرياً حتى النخاع .. اللوحات ، واللغة ،
والأسلوب ، وحتى الأفكار .

واتعتقد حاجباه في شدة ، وأظن الشرر من عينيه ،

وهو يتابع :



ظل (شيمون) صامتاً ، لخمس دقائق كاملة أو يزيد . وهو
يتطلع إلى (عماد) ، الغارق في غيبوبته ..

- وكل خطأ ، مهما بدا تافها ، يمكن أن يعرض العملية كلها للفشل ، وعندئذ ، لن أتردد لحظة ، فى نفس رأسك العقبى هذا .

ثم أعاد إبرة مسدسه إلى موضعها ، وهو يلتفت إلى طاقم الأطباء ، مضيفاً فى حدة :
- بل وتسف رءوسكم جميعاً .

ارتجف الأطباء الإسرائيليون ، وتمتم كبيرهم فى توتر :

- اطمئن ياسيد (شيمون) .. اطمئن .. لقد تم اختيارنا بدقة ، لأننا نعود جميعاً إلى أصول يهودية مصرية ، وكلنا نتحدث باللهجة المصرية فى طلاقة .

استدار إليه (شيمون) ، ولوح بمسدسه فى وجهه ، قائلاً :

- وعلى الرغم من هذا ، فقد خاطبتنى باسم (شيمون) ..
أليس كذلك ؟

ارتجف الطبيب أكثر ، وهو يقول :

- كان مجرد خطأ ياسيدى .. مجرد خطأ .

سأله (شيمون) فى غلظة :

- ما اسمى إذن ؟

ازدد المسكين لعبه فى صعوبة ، وأجاب بصوت خشن ، عبر حلقه الجاف :

- السيد (عبد الرحمن) .. مندوب ريسة الجمهورية .

لوح (شيمون) بمسدسه فى وجهه مرة أخرى ، قائلاً :

- عظيم .. حذار أن تنسى هذا لحظة واحدة .

« اطمئن .. لن ينسى أحدهم ، ماداموا سيذكرون فوهة مسدسك .. »

انطلقت العبارة بالعبرية ، فى سخرية عصبية ، جعلت (شيمون) يلتفت إلى مصدرها فى حركة حادة ، قائلاً :

- إن فقد عدت يا (جراهام) .

بدا (جراهام) غاضبًا بشدة ، والضمادات تخفى نصف وجهه ، وهو يقول بالعبرية :

- نعم .. عدت يا أدون (شيمون) ، لأشهد بنفسى لعبتك ، التي يصفونها بالعقريّة .

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يصرخ صراة ، وباللهجة المصرية :

- ماداموا قد أخبروك بأمرها ، فمن المؤكد أنك تعلم أنه من المحظور أن تتحدث بالعبرية هنا .

قال (جراهام) بالعربية :

- إننى أتحدث المصرية أفضل منك ، يا عزيزى ش .. أقصد (عبد الرحمن) .

تطلع (شيمون) يضع لحظات إلى الضمادات ، التي تخفى نصف وجه (جراهام) ، وتسألته إلى أعماقه لمحة من الشك ، هم بتحويلها إلى كلمات مسموعة ،

لولا أن ظهر (دونهام) فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى توتر :

- رجال الشرطة الإيطالية هنا .

التفت إليه (شيمون) بحركة حادة ، متسائلاً :

- ماذا يريدون ؟!

أجابه (دونهام) فى سرعة :

- (شندلر) كان يحمل جواز سفر ديبلوماسياً ، ورجال الشرطة الإيطالية يجرون تحرياتهم حول مصرعه ، ولديهم تصريح من وزير الخارجية الإيطالى ، و ...

قاطعته (شيمون) فى صرامة :

- هل أبلغت السفير ؟!

هزّ (دونهام) رأسه نفياً فى بطمه ، وهو يقول فى حذر :

- إنهم لم يطلبوا مقابلة السفير ، وإنما طلبوا مقابلة
المسؤول هنا ، و ..

لم يستطع إكمال عبارته ، ولكن الجميع فهموا
ما يعنيه ، فأعاد (شيمون) مسدسه إلى غمده ، وهو
يقول :

- سأذهب لمقابلتهم .

ثم التفت إلى (جراهام) ، قائلاً في صرامة :

- ابق خارج حجرة العناية المركزة ، ولا تتدخل في
الأمر ، بأي حال من الأحوال ، وإلا ..

قال (جراهام) في سرعة وصرامة :

- لن أتدخل .

رمقه (شيمون) بنظرة صارمة ، ثم اندفع خارجاً ،
لمقابلة رجال الشرطة الإيطالية ، فالتفت عينا (جراهام) ،
وهو يفغم مكملاً :

- إلا في الوقت المناسب ..

لحظتها بدا غامضاً ..

ومبهما ..

للغاية ..

* * *



تطلع (أشرف) في إعجاب إلى (منى) ، التي بدت فاتنة بحق ، مع ذلك الشعر الأسود المستعار الطويل ، الذي ينسدل ناعماً قاحماً ، حتى منتصف ظهرها ، وتلكما العدمتين الخضراوين ، اللتين جعلتا ملامحها أقرب إلى الإيطاليات ، وهي تستند إلى دراجة آلية قوية ، على مسافة مائة متر من السفارة الإسرائيلية في (روما) ، وقال في خفوت :

- تفكير عبقرى يا سيادة المقدم .. عودتنا لمراقبة سيارتنا ، التي دسوا فيها الجهاز ، كانت خطوة بارعة بحق ، فقد رصدنا ذلك الإسرائيلي ، وهو يدور حولها ، ويلتقط منها جهاز التنبؤ ، ثم تبعناه إلى هنا .

غمغت (منى) :

- كان ينبغي أن أتوقع هذا .

ثم التفتت إليه ، مستطردة :

- الإسرائيليون يحتفظون برجلنا هنا حتماً ، في قبو سفارتهم ، الذي يحوى قسماً طبياً خاصاً للطوارئ .

سألها في اهتمام :

- أنت واثقة ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب :

- في علمنا ، لا يمكنك أن تثق بشيء ما ثقة مطلقة ، ما لم تكن لديك أدلة يقينية على وجوده ، ولكن الشواهد كلها ترجح ما أقول ، وكذلك قواعد المنطق ، فالسفارة ، وفقاً للقوانين الدولية ، أرض إسرائيلية ، في قلب (روما) ، وهذا يجعلها أكثر المناطق الآمنة ، في (إيطاليا) كلها ، لإخفاء أسير مصاب ، ومنحه الرعاية الطبية الكاملة ، حتى يستعيد وعيه ، ويدلى بما لديه ، دون أن تـدس الشرطة الإيطالية أنفها في الأمر ، أو يتدخل أحد السياسيين

المعارضين .. والأهم أن وجوده داخل أسوار السفارة يمنحهم كل الحق في الدفاع عن أنفسهم ، بكل الوسائل الممكنة في الداخل ، كما يتمتع أى مخلوق ، مهما بلغت سلطته ، من تفتيش المكان ، أو اتخاذ أية إجراءات جنائية داخله .

أوما برأسه ، وبدا عليه الإعجاب ، وهو يقول :

- تحليل منطقي للغاية .

ثم استدرك فى اهتمام :

- السؤال هو : ما الخطوة التالية ؟!

التعقد حاجباها ، وهى تقول :

- لا بد أن نجد وسيلة ما ؛ لدخول مبنى السفارة الإسرائيلية .

قل فى سرعة :

- هذا ليس بالأمر الهين .

أجابته بنفس السرعة :

١٢٢

- وليس بالأمر المستحيل أيضًا .

واتطلقت من أعماق أعماق صدرها تنهيدة حارة ، حملت كل لوعة قلبها ، وهى تستعيد كلمات (أدهم) ، مستطرده :

- لا يوجد جهاز أمنى ، مهما بلغ إحكامه ، يخلو من ثغرة ما ، فى مكان ما .. ثغرة ينبغى أن تبحث عنها ، وتبذل فى سبيلها كل الجهد ، حتى يمكنك أن تنفذ منها ، عبر جدار المستحيل .

تطلّع إليها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يغغم :

- رائع .

أدهشها قوله ، وأعاد إليها شعورها بأثوثتها بقتة ، فتمتمت فى شىء من العصبية :

- ماذا هناك ؟!

ابتسم ، وهو يقول :

- الواقع أن ما يحدث يدهشنى ، ويثير إعجابى فى الوقت ذاته ، يا سيادة المقدم .

١٢٣

سألته في توتر حذر :

- ولماذا !؟

هز كتفيه مجيبًا :

- كنت أتصور أنك قد اعتدت العمل ، إلى جوار سيادة العميد (أدهم) ، حتى إنه ليس باستطاعتك مواجهة الأمور وحدك ، ولكن الساعات القليلة الماضية ، أثبتت العكس تمامًا .

عاودها حزنها ، وهي تقول في خفوت :

- العمل معه له طعم آخر .

أجاب في سرعة :

- بالتأكيد .

ثم استعاد ابتسامته ، مضيقًا :

- أراهن على أن هذا رأيه أيضًا .

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، على الرغم منها ، وهي تقول في حزن غامر :

- كان رأيه .

واصل التطلع إليها في صمت ، فهزت رأسها ، قائلة ، وقد ازاحت حزنها العارم ، واستدعت حزم العمل :

- على أية حال ، لدينا وسيلة مباشرة ، لدخول السفارة الإسرائيلية ، من بابها الرئيسي ، لدراسة حالة الأمن داخلها الآن .

سألها في اهتمام :

- وكيف هذا !؟

التقطت من جيبها جواز سفر إيطاليًا ، يحمل صورتها ، بهيلتها الجديدة ، وهي تجيب في حزم :

- صديقنا (قدرى) يمتلك أصابع ذهبية ، قادرة على صنع المعجزات ، وجواز السفر الإيطالي هذا واحد من تحفه الفنية ، التي ستتيح لي دخول السفارة الإسرائيلية ، بطلب رسمي ؛ للحصول على تأشيرة سياحية إلى (إسرائيل) .

صمت لحظة ، قبل أن يسألها :

- وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟ المفترض أننا نحفظ
نظم الأمن داخل السفارة الإسرائيلية ، عن ظهر قلب !
أشارت بيدها ، قائلة :

- بالضبط ، وهذا يعنى أنه باستطاعتنا تحديد أى
تشدد واضح ، فى نظم وأحوال الأمن هناك ، مما يمكن
اعتباره دليلاً على وجود شىء خطير ، يحاولون
إحكام السيطرة عليه .

عاد الإعجاب يطلّ من عينيه ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

وصمت وهلة ، ثم سألها فى هدوء :

- هل سنذهب معاً ؟!

هزّت رأسها نقيًا ، وقالت :

- بل سأذهب وحدى ؛ فالأفضل أن يبقى أحدنا فى
الخارج مستعدًا ..

واتجهت نحو السفارة الإسرائيلية ، مضيئة فى
حزم :

- وحرًا .

تابعها ببصره وابتسامته ، وهو يتمتم :

- بالتأكيد .. بالتأكيد يا سيادة المقدم .

ثم التقط هاتفه المحمول ، مستطرًا ، دون أن يرفع
عينيه عنها :

- ولكننى أظن أنك بحاجة إلى بعض الدعم ..

المعنى .

لم تسمع (منى) عبارتيه الأخيرتين ، وهى تقترب
من مبنى السفارة الإسرائيلية ، وتقدمت من موظف
أمن البوابة ، قائلة بالإيطالية :

- أريد الحصول على تأشيرة سيلحية إلى (إسرائيل) .

لم يبد الموظف ترحابًا ، وهو يتناول منها جواز
سفرها ، ويلقى نظرة عليه ، قائلًا فى شىء من الصرامة :

- أظنك ستنتظرين بعض الوقت ياسينتى ؛ فلمسنولون
لديهم بعض العمل العاجل الآن .

ألقت نظرة على سيارة الشرطة الإيطالية ، التى
تقف أمام السفارة ، قبل أن تقول فى هدوء :

- سأنتظر .

لاحظت ، وهى تعبر حديقة السفارة ، إجراءات
الأمن المشددة ، ونظرات الحذر والشك ، التى يرمقها
بها كل مسلولى الأمن ، وزيادة عددهم على نحو
ملحوظ ، فتمتمت :

- إنه هنا .

لم تكذ تنطقها ، حتى سمعت رنيناً قصيراً محدوداً ،
ينبعث من هاتفها المحمول ، معلناً استقباله لرسالة
رقمية ، فالتقطته بسرعة ، وألقت نظرة على شاشته ،
وهى تضغط زر إظهار الرسائل الجديدة ، و ..

« رائع يا عزيزتى .. كنت أعلم أنك قادرة على
فعلها بدونى .. ١ . ص . »

واقتفضت كل ذرة فى كياتها ، وهى تحديق فى
الرسالة ، التى حملت توقعه ..

وصرخ كلبها بصرخة فرح قوية ، لم يسمعها سواها ..
إبه حتى ..

حتى ..

ليس هذا فحسب ، ولكنه هنا أيضاً ..

فى مكان ما حولها ..

يراقبها ..

ويتابعها .. ويشجعها ..

رلودتها رغبة عارمة ، فى أن تتلفت حولها ؛
بحثاً عنه ..

ولكنها لم تفعل ..

لقد سيطرت على مشاعرها بإرادة فولاذية ؛ حتى
لا يلمح رجال أمن السفارة الإسرائيلية انفعالها ، مع
حالة الشك والترقب ، التى يعيشونها الآن ..

فقط ضغطت أزرار هاتفها في سرعة ، محاولة
معرفة رقم الهاتف ، الذي أرسل إليها هذه الرسالة ..

ولكنها لم تجد شيئاً ..

يا لحذره !

حتى رسالته ، أرسلها عبر هاتف مؤمن ..

ولكن الرسالة نفسها تعنى أنه قريب ..

قريب جداً ..

أين هو إذن ؟!

بل من هو ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يتقبل المفتش
(ياولو) ، قائلاً في برود :

- هل لى أن أعرف سر هذه الزيارة ، غير المألوفة
في عالم الديبلوماسية ؟!

قال (ياولو) في شيء من الصرامة :

- لاصلة لزيارتنا بالديبلوماسية وتعقيدها .. إننا
هنا بسبب مصرع أحد رجالكم .. كان يحمل جواز
سفر ديبلوماسية إسرائيلياً ، فرأينا أنه من الأرجح
أن ..

قاطعته (شيمون) بنفس البرود :

- لقد بلغنا الخبر .. أشكرك .

سأله (ياولو) :

- أهو أحد العاملين بالسفارة ؟!

أجابته في سرعة وحزم :

- كلاً .

رمقه (ياولو) بنظرة شك ، وهو يقول :

- كيف يحمل جوازاً ديبلوماسية إذن ؟!

التقط (شيمون) نفسًا عميقًا ، وهو يجيب في
ضجر :

- إنه موظف في وزارة الخارجية الإسرائيلية ..
كلاهما موظف في وزارة الخارجية الإسرائيلية .

انعدت حاجبا (باولو) ، وهو يقول :

- كلاهما ١٤

أجابته (شيمون) وقد تضاعف ضجره :

- نعم .. ذلك الذي سقط من المبنى ، والآخر الذي
أصيب وفقد الوعي داخله ، و ..

قاطعته (باولو) ، وهو يهتف :

- آه .. أتقصد المصاب ، الذي اختطفه ذلك الكهل

الزائف ١٤

انعدت حاجبا (شيمون) ، وهو يسأله في حذر :

- مصاب .. اختطاف .. كهل زائف ١٤! قل لي أيها

المفتش : ما الذي تعنيه بكل هذا بالضبط .

قصّ عليه المفتش (باولو) كل ما قاله رجال أمن
المبنى ، الذي سقط منه (شندلر) ، وازدادت انعقاد
حاجبي (شيمون) بشدة وتوتر ، وهو يستمع إليه في
انتباه تام ، وعقله يرسم مجموعة من الصور المتتابعة
السريعة ..

(منى) تحطم أنف وفك (جراهام) ..

كهل غامض زائف ، يختطف (جراهام) قبل وصول
رجال الشرطة الإيطالية ..

(جراهام) يعود إلى السفارة ، بضمادات تخفى
نصف وجهه ، دون أن يشير مجرد إشارة لخروجه
الغامض من المكان ..

(أدهم) في (روما) ..

(أدهم) هنا ..

هنا ..

ثم استعاد ذهنه صورة محدودة ..

صورة (منى) ..

وبسرعة البرق ، استعرض صورتها ، مع كل المختزن في ذهنه ..

وتألفت عيناه على نحو وحشى ..

إنها هي ..

زميلة (أدهم) الأثيرة ..

هي التي حطمت أنف وفك (جراهام) ..

(جراهام) ..

امتلاً ذهنه كله بصورة (جراهام) والضمادات

تخفى نصف وجهه ..

وبكل غضب الدنيا ، هتف :

- إنه هو .. تساعل للمفتش (بلولو) في حذر ، عندما

عجز عن فهم الهتاف ، الذي ألقاه (شيمون) بالعبرية :

- ماذا ؟؟

دفعه (شيمون) أمامه فجأة ، وهو يقول في صرامة

متوترة :

- معذرة أيها المفتش .. لدينا أمور عاجلة وخطيرة ،
تحتّم عدم وجود أي غرباء ، داخل المبنى الإداري
للمسفارة .

هتف المفتش (بلولو) معترضاً :

- ولكن ..

قاطععه (شيمون) في شراسة ، وهو يدفعه عنوة
خارج المكان :

- لا يوجد لكن .. قلت لك : إنه أمر عاجل وخطير ..
للغاية .

أغلق الباب في قوة وراء المفتش ، ثم التفت هاتفه
المحمول ، وضغط أزراره في سرعة ، وهو يقول :

- (دونهام) .. أخرج كل الأجنب من المكان ،
وأغلق أبواب المسفارة في إحكام .

سأله (دونهام) ، وقد فجّرت الأوامر الصارمة أيضاً
من الانفعالات ، في أعرق أعماقه :

- ماذا هناك يا أدون (شيمون) ؟؟

هتف (شيمون) ، بكل انفعال الدنيا :

- (أدهم) هنا يا رجل .. (أدهم صبرى) هنا .

صاح (دونهام) ، وقد شعله الافعال :

- فلتلق القبض على كل الأجانب إذن .

هتف (شيمون) فى حدة :

- كلاً أيها الغبي .. إته ليس هنا باعتباره أحد
الأجانب .. إته واحد منا .. واحد من الإسرائيليين فى
السفارة .

سأله (دونهام) وقد جف حلقه انفعالاً :

- واحد منا ؟! من هو يا أدون (شيمون) ؟! من
هو ؟!

زمجر (شيمون) ، وهو يقول فى صرامة :

- اسمعنى جيداً أولاً .. إننا لانواجه شخصاً عادياً ،
بل نواجه محترفاً ، على أعلى مستوى من الاحتراف ،
وينبغى أن نتعامل معه ، بما يتناسب مع مستواه ،
حتى ولو كان داخل أسوار سفارتنا ، ومحاطاً برجالتنا ..

سأله (دونهام) بمنتهى الانتباه :

- بم تأمر يا أدون (شيمون) ؟!

أجابته رجل المخابرات الإسرائيلى فى حزم :

- عملية إخلاء السفارة من الأجانب ، يتبغى أن تتم
بمنتهى الهدوء والسرعة ، وبحجة منطقية تماماً ،
وبأسلوب شديد التهذيب ، وننقل مثلاً إن أجهزة
الكمبيوتر قد تعطلت ؛ بسبب عيب فى الشبكة
الرئيسية ، وأن العمل سيتوقف مؤقتاً ، وفى الوقت
ذاته ، أريد محاصرة مبنى السفارة ، وحبسها
بالتحديد ، ووضع حراسة مكثفة حول حجرة العناية
المركزة ، بحيث لا يمكن أن تغادرها بعوضة ، دون
أن نسمح لها بهذا ..

قال (دونهام) فى حماسة :

- كل شيء سيسير كما أمرت يا أدون (شيمون) .

ثم استطرد فى سرعة :

- فقط أريد أن أعرف : من منا (أدهم صبرى) ؟!

- فليكن يا (أدهم) .. لقد أتيت بقدميك إلى هنا ،
ونجحت في دخول سفارتنا ، تحت سمعنا وأبصارنا ،
ولكن الدخول لم يكن أبدًا مشكلة .

واندفع خارج المكان ، وهو يضيف بلهجة رجل ،
تحفزت كل حواسه للقتال :

- المهم الخروج .

وكان على حق تمامًا ، في كل حرف نطق به ..
المشكلة لم تكن أبدًا في دخول (أدهم) ، إلى قلب
السفارة الإسرائيلية في (روما) ..
المهم هو نجاحه في الخروج منها ..
على قيد الحياة ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، التي بدأت فيها عملية إخلاء
السفارة الإسرائيلية من الأجانب ، أدركت (منى) أن
(أدهم) هناك ..
في الداخل ..

أجابته (شيمون) بكل صرامة الدنيا ، وهو
يسحب مسدسه من غمده ، ويسحب مشطه في قوة ،
ثم يفلته ، ليرتد بصوت معدنى حاد ، مع قوله :

- خصمى وخصمك يا (دونهام) .. الرجل الذى تصوّر
نفسه عبقرياً ، وتصورنا من الغباء ، بحيث تكفى
مجموعة من الضمادات لإخفاء وجهه ، وخداعنا جميعاً .

وقسا صوته على نحو عنيف ، وهو يضيف ، بكل
غضب الدنيا :

- (جراهام) .. (أدهم صبرى) ينتحل شخصية
(جراهام) .

صمت (دونهام) لحظة ، ثم قال فى انفعال حقيقى :

- هذا يضاعف من متعة إسقاطه .

أجابته (شيمون) ، قبل أن ينهى المحادثة :

- المهم أن يتم الأمر بسرعة ودقة وذكاء .

دس مسدسه مرة أخرى فى غمده ، وأعاد هاتفه
المحمول إلى جيبيه ، وهو يقول فى حزم صارم شرس :



وفور خروجها من المكان ، اندفعت نحو الموقع ، الذي
تركته فيه (أشرف) ، مع الدراجتين البخاريتين ..

وعلى الرغم من أنها قد انصاعت - مظهرياً -
لعملية إخلاء السفارة ، إلا أن كل ذرة في كياتها
كانت ترتجف ، على نحو لم تشعر به من قبل قط ،
من فرط الانفعال والإثارة ..

وفور خروجها من المكان ، اندفعت نحو الموقع ،
الذي تركته فيه (أشرف) ، مع الدراجتين البخاريتين ،
وهي تقول :

- فليقطع ذراعى ، إن لم يكن (أدهم) بالداخل .

سألها فى اهتمام :

- ومن أتراك !؟

قالت ، وهي تلهث ، من فرط الانفعال :

- استحكمت الأمن الشديدة هذه .. إنهم لن يفعلوا
هذا ، إلا إذا كان هناك خطر داهم ، يولجهم داخل
أسوار المكان وتألفت عيناها ، وهي تضيف :

- ولا يوجد خطر على الإسرائيليين ، يفوق (أدهم
صبرى) .

ابتسم ، مردداً :

- صدقت .

ثم سألها في سرعة :

- ماذا تقترحين الآن ؟!

أجابته في حسم :

- لو أن (أدهم) في الداخل كما أتوقع ، فكل ما يمكننا فعله هو أن ننتظر ، وأن نتأهب للتدخل ، في أية لحظة .

أشار بسبابته ، قائلاً :

- إنهم يغلقون أبواب السفارة في إحكام ، والحراس المسلحون ينتشرون في كل مكان .

كررت في حزم :

لا بد أن نستعد للتدخل ، في أية لحظة .

سألها بابتسامة خبيثة :

- حتم ، أو الترحمنا المكان ؟!

أجابته في صرامة أكثر حزمًا :

- حتى لو أشعلنا النار في (روما) كلها ، كما فعل (نيرون)^(١٨) .

قال في هدوء :

- (نيرون) كان مجنونًا عندما قتلها .

لوحت بيدها ، مجيبة :

- وأنا سأصبح أكثر جنونًا منه ، لو مس هؤلاء الأوغاد شعرة واحدة ، من رأس (أدهم) .

ابتسم (أشرف) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

- محظوظ هو ، سيادة العميد (أدهم) .

رمقته بنظرة صارمة ، ثم أدارت عينها إلى مبنى السفارة الإسرائيلية ، وعقلها كله يفكر في أمر واحد .

(*) (كلوديوس قيصر نيرون) : (٣٧ - ٦٨ م) : قائد روماني ،

في حرب البونية الثانية ، اشتهت تصرفاته بتلك الوحشية ، التي جعلته مضرًا للأمثال ، فقد قتل أمه ، ثم زوجته (أوكتافيا) ، ونسب إليه حريق

روما الكبير (٦٤ م) .

يدوره بمراقبة الحجرة ، عبر نافذة من الزجاج
مزدوج الانعكاس :

- سيستعيد وعيه بعد قليل .

التفت إليه (جراهام) ، مغفماً في شيء من
التوتر ، يتناسب تماماً مع شخصيته :

- نعم .. الأطباء أنكوا هذا .

ثم عاد يلتفت إلى الحجرة ، عبر الزجاج ، الذي
يسمح له بمتابعة ما يدور داخلها ، في حين يبدو من
الجانب الآخر ، أشبه بمرآة عاكسة ، مستطرداً :

- ولكنني أعترف بأنها خدعة متقنة .

رمقه (شيمون) بنظرة حذرة ، وهو يتحسّن
ممدسه ، متسائلاً :

- هل راقت لك ١٩ ؟

أوماً (جراهام) برأسه ، قائلاً :

- إنها عبقرية بحق ، فذلك العميل مصاب ، وفقد
الوعي ، منذ بداية العملية ، وعندما يستيقظ ليجد

تُرى من منهم (أدهم صبرى) ١٩ ؟

وكيف سيواجه كل هؤلاء ١٩ ؟

كيف ١٩ ؟

ويبقى السؤال ينهش عقلها ..

عقلها ، وقلبها معاً ..

بلا هوادة ..

أو رحمة ..

أو جواب ..

أى جواب ..

* * *

في هدوء شديد ، وبلا أية انفعالات ظاهرة على
الإطلاق ، تقدّم (شيمون) من (جراهام) ، الذي وقف
يراقب ما يحدث داخل حجرة العناية المركزة ، في قبو
مبنى السفارة الإسرائيلية ، بمنتهى الاهتمام والانتباه ،
وما إن أصبح إلى جواره ، حتى قال ، وكأنه منشغل

نفسه في مناخ مصري ، ومحافظاً بأطباء مصريين ،
سيتصور أنه قد عاد إلى وطنه ، ولو تقدم إليه من
يقنعه بأنه مندوب للمخابرات العامة ، فمن المحتمل
جداً أن يدلي بما لديه ، بمنتهى الثقة والهدوء ،
باعتبار أنه إنما يخبر زملاءه بما يحتاجون إلى
معرفته .

اتعد حاجبا (شيمون) ، وهو يسحب مسدسه في
حذر ، قائلاً :

- عجباً ! هل أدركت كل هذا وحدك !؟

قال (جراهام) ، في شيء من الصرامة :

- الأمر لا يحتاج إلى الكثير من الذكاء يا أدون
(شيمون) .

قال (شيمون) في حدة :

- ولكنني لم أعهدك حاد الذكاء .

ابتسم (جراهام) في سخرية ، وقال : دون أن يلتفت
إليه :

- ربما تضاعف ذكائي ، مع قنومك من (تل أبيب) .

ازداد اتعقاد حاجبي (شيمون) في شدة ، وقد
بدت له تلك السخرية متلفضة تماماً ، مع شخصية
(جراهام) التي يعرفها ..

ولكنها تتفق تماماً مع شخصية أخرى ..

شخصية جعلته يواصل سحب مسدسه ، في حذر
متناه ، وهو يسأله في صرامة ، حمل الكثير من
توتره وانفعاله :

- قل لي يا (جراهام) : كيف نجوت من رجال
الشرطة !؟

هز (جراهام) رأسه ، قائلاً :

- لمست أدري .. لقد هاجمتني تلك المصرية ، وأفقتني
الوعي ، ثم استيقظت لأجد نفسي داخل سيارتي ،
على مسافة عشرين متراً من المبنى .

والتفت إلى (شيمون) ، بوجهه الذي تغطي
الضمادات نصفه ، وهو يكمل :

- والتفسير الوحيد هي أنها وزميلها قد أخرجاني
من هناك ، حتى لا يحدث احتكاك بيني وبين رجال
الشرطة ، يمكن أن يتطور ليكشف أمرهما .

قال (شيمون) في صرامة :

- ولكن هذا لم يحدث .

سأله (جراهام) في توتر :

- وكيف عرفت هذا ؟!

تجاهل (شيمون) السؤال تماما ، وهو يسأله في
صرامة :

- قل لي أنت يا (جراهام) : لماذا يبدو صوتك مختلفا
عن طبيعته إلى حد ما ؟!

أشار (جراهام) إلى فمه ، وهو يقول في حدة :

- لأنني فقدت اثنتين من أسناني الأمامية .. ألا يبدو
هذا واضحا ؟!

حاول (شيمون) أن يتسّم ، وهو يقول :

- بل يبدو واضحا .. وربما أكثر مما ينبغي .

مع آخر حروف كلماته ، هتف كبير طاقم الأطباء ،
وهو يلتزم باللهجة المصرية الخالصة :

- سيستعيد وعيه بعد قليل .

استدار (جراهام) في حركة حادة ، فور سماعه
العبارة ، وتطلع عبر الزجاج مزدوج الانعكاس ، في
اهتمام بالغ ، إلى (عماد) ، الذي بدأ جفناه يرتجفان
على نحو واضح ..

أما (شيمون) ، فقد أدرك أن الموقف قد أصبح
شديد الدقة والحساسية ، وأنه لم يعد من الممكن
إضاعة ثانية واحدة أخرى ..

لذا ، فقد أكمل سحب مسدسه ، وألصق فوهته
بصدغ (جراهام) ، وهو يهتف في صرامة وحشية
هادرة :

- إياك أن تتحرك .

ولكن (جراهام) لم يلتزم بالأمر ..

ولم يرتجف للصرخة ..

لقد تراجع بحركة حادة ، وسحب مسدسه بدوره ،
و ...

وانفتحت أبواب الجحيم ..
على مصراعها .



١٥٠

٦ - دوى الرصاص ..

على الرغم من كل ما بذلت من جهد ؛ لإخفاء روح
المسخرية والشماتة في أعناقها ، لم تتجح (لورا
كيلرمان) في كتمان لمحة من العبث ، حملتها
كلماتها ، وهي تجلس أمام شاشة الاتصال الكبيرة ،
التي تنقل صورة مستر (x) الذي غرق وجهه في
ظلام مدروس كالمعتاد ، قائلة :

— إذن فقد تجاوزت دونا (كارولينا) المحنة ،
واستعادة السيطرة على عصابتها الكبيرة ، واحتفظت
فيها بمقعد الزعامة .

قال مستر (x) بصوته ، الذي يعمل جهاز خاص
على تغيير نبراته وتحويرها :

— تسرع ذلك الغبي (جوماتي) ، وحماقته وتهوره ،
أسهمت كلها في إفساد الخطة الرئيسية ، ولو أنه

التزم بما أمرته به ، لسارت الأمور على نحو مختلف تماماً^(*) .

رفعت أحد حاجبيها ، في سخرية لم تحاول إخفاءها هذه المرة ، وهي تقول :

- وآخر الأخبار تقول : إن (أدهم صبرى) قد نجا مرة أخرى ، من موت محقق ، بعد أن هزم جيش الجنرال الأحمرق (ألنزو) ، في صحراء (المكسيك)^(**) .
ويبدو أن روح الشماتة في أعماقها قد بلغت مداها ، حتى إن ضحكة ساخرة قد أفلتت من بين شفثيها ، قبل أن تضيق :

- ونجا من حليفته السابقة دوناً أيضاً .

صمت مستر (x) بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن مال إلى الأمام ، وهو يقول في صرامة :

- وهل يسعدك هذا ؟!

(*) راجع قصة (رمال .. ودماء) .. المغامرة رقم (١٤١) .

(**) راجع قصة (رجل .. وجيش) .. المغامرة رقم (١٤٢) .

هزّت كتفيها ، وهي تشعل سيجارتها ، قائلة :

- ولماذا يسعدنى ؟!

أجابها بكل صرامة الدنيا :

- سلى نفسك .

نفثت دخان سيجارتها في عمق ، قبل أن تقول :

- إبنى لم أحاول الاتصال بك يامستر (x) بعد

عودتى من صحراء (المكسيك) ، وبعد أن أخفيت

عنى أنني كنت أحمل حقيبة من المتفجرات القوية

طوال الوقت .

قال في صرامة :

- كان هذا لدواعى العمل .

مالت إلى الأمام ، قائلة في سخرية صريحة :

- وهل حققت تلك الدواعى هدفها ؟!

صمت مستر (x) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول ،

في لهجة قاسية مخيفة :

- أسلوبك هذا يعرض وجودك كله للخطر يا (لورا) .

نفثت دخان سيجارتها في قوة مرة أخرى ، وقالت في شيء من الحدة :

- مستر (x) .. تذكر أن اتصالتنا هذا قد تم من جانبك أنت ، وليس من جانبي أنا ، فأخبرني ماذا تريد مني ، بدلاً من أن نتشاحن على هذا النحو .

اعتدل في مقعده ، وبدأ من الواضح أنه يبذل جهداً حقيقياً ؛ للسيطرة على مشاعر الغضب في أعماقه ، قبل أن يقول في حزم :

- أريد منك أن تسافري فوراً إلى (روما) .

ارتفع حاجباها في دهشة ، قبل أن تقول في عصبية :

- هل سترسلني لمواجهة (أدهم) هذا مرة أخرى ؟
أجابها في سرعة :

- أنت أكثر من أثق فيها ، في المنظمة كلها
يا (لورا) .

قالت ، وهي تتراجع في مقعدها ساخرة :

- حقاً ؟ وما الدليل على هذا ؟!

أجابها في غلظة :

- أنني أختارك دوماً للعمليات الخاصة ، شديدة الأهمية والخطورة .

نفثت دخان سيجارتها ، وهي تقول بنفس السخرية :

- وما الذي سترسله في حقائبى هذه المرة ؟ قبلتة
نووية أم هيدروجينية ؟!

صمت مستر (x) لحظة أخرى ، ثم مال نحو الشاشة ، قائلاً :

- هل تعرفين للسبب الرئيسي لتقتى بك يا (لورا) ؟!

هزّت كتفها ، ولوحت بأصابعها المعسكة بسيجارتها في عبث ، قائلة بابتسامة ساخرة :

- أهو جمالى الفائق ؟!

أجابها في سرعة وحزم :

- بل أسلوبك السخيف هذا .

خُيِّلَ إليها أنها لم تفهم ما يعنيه ، فاعتدلت بحركة
حادة ، متسائلة :

- ماذا ١٢

واصل ، وكأنه لم يسمع سؤالها :

- خبرتى علمتسى أن من بجاهرون بغضبهم
ومشاعرهم ، على هذا النحو السخيف ، يفرغون كل
ما بداخلهم عبر لسانهم وحده ، لذا فهم يؤدون كل
ما يُطلب منهم فيما بعد ، بمنتهى الإخلاص والحماسة .

لم يرق لها تحليله لشخصيتها ، فنفتت بخان
سجارتها مرة أخرى ، قائلة فى عصبية :

- لا تعتمد على هذا كثيرًا .

ولأن جهاز تحوير الليرات لم يكن كافيًا ، لإخفاء
ما تحويه الكلمات من مشاعر وانفعالات ، فقد بدت
لها كلمته ساخرة ، وهو يعدل ، قائلاً :

- سنرى .

اعتدلت فى حركة حادة ؛ لتقول شيئًا ما ، لولا أن

تتأهى إلى مسامعها فجأة صوت ما ، دخل منزلها
الأنيق ، فالتفتت إليه ، قفلة فى توتر شديد :

- ما هذا بالضبط ١٢

لم تكد العبارة تتجاوز شفقتها ، حتى انقطع الاتصال
من جانبها فجأة ، وأظلمت شاشة مسر (x) تمامًا ،
فاتعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

- ماذا حدث ١٢

ضغط أزرار الاتصال مرة ، وثانية ، وثالثة ، وهو
يهتف :

- (لورا) .. ماذا حدث عندك ١٢

لم يتلق جوابًا ، لأربع دقائق كاملة ، مما جعله يتراجع
فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

- أمر يثير القلق بحق .. لا بد من الاتصال بأحد
عملائنا فى (باريس) ؛ ليتحرى الأمر ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، عادت شاشة الاتصال تضاء
فجأة ، ليظهر عليها وجه (لورا) مجددًا ، وهى تقول
فى توتر :

- أما زلت هنا يا مستر (x) ؟! عظيم .. صندوق التحكم الكهربى الرئيسى فى منزلى اشتعل ، وقطع التيار الكهربى كله دفعة واحدة .

سألها مستر (x) فى حذر :

- أهذا ما جذب انتباهك ، قبل انقطاع الاتصال مباشرة ؟!

أشارت بيدها فى توتر ، مجيبة :

- أثار انتباهى ؟! بل قل : إنه قد أصابنى برعب حقيقى ؛ فقد تصوّرت أن أحدهم قد افتتح منزلى ، على الرغم من أجهزة الإنذار الحديثة ، فى كل مكان ، وعندما تقطع التيار الكهربى ، وجدت نفسى أصرخ هلعًا ، مع رؤية ألسنة اللهب .. أو رؤية وهجها وسط الظلام المفاجئ ..

وأطلقت من أعماق أعماق صدرها زفرة عصبية ، قبل أن تتابع :

- إننى لم أستطع السيطرة على أعصابى بعد .

غمغم ، فى حذر أكثر :

- أمر طبيعى .

التقطت سيجارة من علبتها ، بأصابع مرتجفة متوترة ، وأشعلتها فى عصبية واضحة ، قبل أن تتساعل :

- المهم .. ماذا تريد أن أفعل فى (روما) يا مستر (x) ؟!

صمت الزعيم الخفى بعض الوقت ، وكأنما يتأمل ملامحها المتوترة المضطربة ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب :

- فقط اذهبى إلى هناك ، وسأخبرك ماذا عليك أن تفعل ، بعد أن يستقر بك المقام فى (روما) .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول فى عصبية :

- فليكن يا مستر (x) .. فليكن .. ساعد حقايقى ، وأسافر على أول طائرة إلى (روما) .

قلتها ، ثم ضغطت زر الاتصال ، لتنتهى المحادثة

من جانبها ، فاعتقدت حاجبا مستر (x) في شدة ، وهو يتراجع في مقعده ، مغمضا في قلق شديد :

- حديتك لم يقتضى يا (لورا) .. لم يقتضى أبدا .

وجنب إليه جهاز الكمبيوتر النقال ، وراح يرسل رسالة عاجلة ، عبر شبكة الإنترنت ، إلى واحد من أهم رجاله في (باريس) ، مستطردا :

- هناك سبب آخر لتوترك الشديد هذا .. سبب أكثر خطورة من اشتعال صندوق تحكم كهربى .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، في مكان مجهول من العالم ، كانت (لورا كيلرمان) تلقى سيجارتها في عصبية ، في ركن منزلها الفاخر في (باريس) ، وهي تلثفت إلى فوهة مسدس مصوِّبة إلى رأسها ، قائلة :

- والآن ماذا؟! لقد فعلت كل المطلوب .

ارتجفت كل نرة من كياتها ، مع مرأى الإبهام ، الذى جذب إبرة المسدس ، فواصلت في عصبية مذعورة :

- لا .. لا يمكن أن يكون جزاى رصاصا ! مجرد رصاصا !

ارتفعت فوهة المسدس ، وانفجرت أكثر من رأسها ، فتفجرت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

- أرجوك .. إبنى مستعدة للتعاون بأى شكل .. سأفعل أى شىء فى الوجود ، مقابل حياتى .. الرحمة .

ولثوان ، طالت حتى بلغت نصف دقيقة كاملة ، ظلت فوهة المسدس موجهة إلى رأسها ، متجاهلة دموعها الغزيرة ، وحالة الانهيار الضيف ، التى شملت كياتها كله ، ثم ، وببطء شديد ، انخضت فوهة المسدس ، وتألقت بريق عجيب من العينين الصارمتين خلفها ..

وكان هذا يعنى أن عرض (لورا كيلرمان) قد تم قبوله ..

وأن صفقة جديدة ، فى طريقها إلى الانعقاد ، فى تلك اللحظة ..

صفقة من صفقات الشر ..

* * *

سرت ارتجافة عصبية ، فى جسد (منى) ، عندما
التقطت أذناها صوتاً خافتاً مكتوماً ، يأتى من داخل
مبنى السفارة الإسرائيلية ..

كان صوتاً يمكن ألا يجنب لتباه أى مخلوق عادى ..
ولكنه ، بالنسبة لخبيرة ومحترفة ، كان صوتاً
معروفاً ..

ومألوماً ..
ومخيفاً ..

كان صوت دوى رصاصتين ، لا يفصلهما سوى
جزء من ألف من الثانية ، انطلقتا فى مكان ما ، فى
أعماق مبنى السفارة ..

ويكل انفعالها ، هتفت :
- (أدهم) فى خطر .

أشار إليها (أشرف) ، قائلاً فى حزم :

- لقد سمعت دوى الرصاصات مثلك ، ولكنه لا يعنى
أن سيادة العميد (أدهم) معرض للخطر هناك .

امتطت دراجتها الآلية ، وهى تقول :
- ولكنه يعنى أنهم قد كشفوا أمره .

أمسك (أشرف) يدها فى قوة ، قبل أن تدير محرك
دراجتها الآلية ، وهو يقول فى صرامة :
- ليس بالضرورة .

أدهشتها قوة أصابعه الفولاذية ، والأسلوب الحازم
الصارم ، الذى استوقفها به ، على الرغم من أنها
تفوقه رتبة ، من الناحية الرسمية ، فالتفتت إليه
بحركة حادة ، وكادت تهتف بعبارة ما ..

لولا أن ارتطمت عيناها بعينيهِ ..

ولسبب ما ، ارتجف قلبها بين ضلوعها فى عنف .

صحيح أن العينين لا تتشابهان ..

ولكنها نفس النظرة ..

نفس الحزم ..

والقوة ..

والمهابة ..

وفي استسلام عجيب ، وجدت نفسها تتراجع عن
إدارة محرك دراجتها الآلية ، وهي تتسائل :

- ماذا تعني !؟

ترك (أشرف) يدها ، وهو يجيب في حزم :

- لو أن سيادة العميد (أدهم) بالداخل ، فمن
المحتم أنه لن يكون من السهل عليهم كشف حقيقته ،
ولو أننا سمعنا دوى رصاصات في الداخل ، فليس
من الضرورة أن يتعلق هذا به .

قالت في توتر :

- أنت واثق من هذا !؟

قالتها ، وهي تتطلع إلى عينيه مباشرة ، وكأنها
تحاول سبر أغواره ، أو قراءة ما يدور في عقله ،
أو ما يختفي خلف ملامحه القوية ، فلاذ هو بالصمت
بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- تمام الثقة .

سألته في سرعة :

- وكيف !؟

لم يحاول الفرار بعينه ، من نظراتها الفاحصة ، وهو
يقف صامتاً بضع لحظات ، ثم يجيب في صرامة :

- امنحيني ثقتك .

كياتها كله راح يرتجف في أعماقها ، دون أن تنتقل
لرتجافتها إلى جسدها ، وهي تتطلع إليه بكل الحيرة ..

وفي رأسها ، انطلق ألف سؤال وسؤال ..

وألف لمحة من المشاعر والأحاسيس ..

ولكن أيًا من هذا لم يبرز قط على السطح .

ولم يفصح عن نفسه أبداً ..

كل ما حدث ، هو أن غمغت في خفوت :

- إنني أثق بك جداً .

ترجع ، وهو يتسم ، قائلاً :

- عظيم .

سألته فجأة :

- (أشرف) .. ما لقبك بالضبط ؟

أدهشتها تلك الابتسامة على شفتيه ، وهو يجيب :

- (صالح) .. اسمي (أشرف صالح) .

وعاد كياتها كله يرتجف ..

بقوة ..

* * *

رصاصتان دويتا في المكان ، في لحظة واحدة

تقريبًا ..

رصاصة (شيمون) ..

ورصاصة (جراهام) .

ففي نفس اللحظة ، التي وثب فيها (جراهام)

جانبًا ، وسحب مسدسه ، أطلق (شيمون) رصاصته

نحوه ..

وانطلقت رصاصة (جراهام) ، مع اختراق رصاصته

(شيمون) لكتفه اليمنى ، واخترقت أرضية الحجرة ،
قبل أن يسقط (جراهام) ، صائحًا بالعبرية :

- أيها الك ..

وثب (شيمون) نحوه ، وهوى بمسدسه على فكه ،
صائحًا :

- لخرس .

تفجرت الدماء من ركن شفتي (جراهام) ، ورأسه
يرتطم بالأرض في عنف ، في حين تراجع (شيمون)

بحركة حادة ، هاتفا :

- أوقفوه .

اندفع ثلاثة من رجال أمن السفارة نحو (جراهام)

وصوب اثنين منهم مدفعيهما الآلئين نحوه في تحفز

شرس ، في حين أسرع الثالث يختطف مسدسه ، في

حين صاح الطبيب الإسرائيلي بالعربية :

- أي عيث هذا ؟! الرجل هنا سيسرع وعيه بعد

قليل ، وما يحدث هنا سيفسد ما نعمله تمامًا .

هتف به (شيمون) ، وهو يلهث على نحو عجيب ،
وكأنما بذل جهداً خارقاً ، خلال الدقيقة المماثلة :

- لقد انتهى الأمر تقريباً .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يتابع رجال الأمن ، الذين
يجبرون (جراهام) على النهوض ، وهذا الأخير
يصرخ في ثورة :

- لقد جننت .. جننت حتماً يا (شيمون) .

شدّاً (شيمون) قامته ، وهو يقول في صرامة :

- انزعوا هذه الضمادات عن وجهه .

صرخ (جراهام) :

- أرايت ؟! هذا جنون مطبق .

أسرع رجال الأمن ينفذون أمر (شيمون) ، و (جراهام)
يقاومهم في عنف واستماتة ، متابعاً :

- إننى أمنعكم .. أمنعكم من لمس ضماداتى هذه ..
إننى مصاب ، وسأبلغ القيادة عنكم ، لو أصابنى أدنى
مكروه .

سرى التوتر فى جسد (شيمون) ، مع هذا الأسلوب
العصبى الحاد ، الذى يتناسب تماماً مع شخصية
(جراهام) المألوفة ، وبدأ الشك ينهش كيانه فى
وحشية ، وهو يراقب ما يحدث ، و ..

« إن وجهه مصاب بالفعل .. »

انتفض جسد (شيمون) فى عنف ، عندما نطق
أحد رجال الأمن العبارة ، بعد رفع الضمادات عن
وجه (جراهام) الذى صاح فى غضب هادر :

- بالطبع ! ماذا كنتم تتصورون إذن هل سأفتعل
الإصابات أيها الحمقى !؟

حدق (شيمون) فى وجهه بذهول ، فصاح فيه
(جراهام) :

- سأبلغ الرؤساء بما فعلت يا (شيمون) .. سأبرق
هذا إلى (تل أبيب) فوراً .. لقد أصبتنى برصاصة
من مسدسك .. أقسم أن يؤدى هذا إلى فصلك من
الخدمة .



الصق (شيمون) فوهة مسدسه بعنقه فجأة . وهو
يهتف به في شراسة : - أصمت ..

سحب (شيمون) مسدسه ، واندفع نحوه فجأة ،
فصاح (جراهام) :

- والآن ماذا ؟

ألصق (شيمون) فوهة مسدسه بعنقه فجأة ،
وهو يهتف به في شراسة :

- أصمت .

امتقع وجه (جراهام) ، وهو يقول مرتجفاً :

- هل .. هل سنقتلنى ؟!

جنب (شيمون) أفنه ، على نحو جعله يصرخ للمأ :
- أيها المجنون .

تراجع (شيمون) بحركة حادة ، وحدق في وجهه
بذهول أكثر ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ، مرددداً :

- ولكن .. ولكنك (جراهام) الحقيقي .

صاح (جراهام) في غضب :

- بالطبع أيها الأحمق المتهور .. من كنت تظننى ؟!

تراجع (شيمون) أكثر ، وبدأ أشبه بالمصعوق ،
(جراهام) يمسك كتفه المصابة ، صائحاً :

- أنت حطمت نفسك يا (شيمون) قضيت على
مستقبلك .

صاح الطبيب الإسرائيلي في عصبية :

- لأن توقفوا هذا العبث ، قبل أن يستعيد الرجل
وعيه .

صرخ فيه (جراهام) :

- لأن تقوم أنت بعملك أيها الغبي !؟ ألا ترى أنني
مصاب برصاصة ، وأحتاج إلى إسعاف عاجل ؟

اتعدد حاجبا (شيمون) ، وهو يندفع نحوه ،
هاتفاً :

- أنا أعرف ما تحتاج إليه بالضبط .

وقبل أن يدرك (جراهام) ما يعنيه ، هوى (شيمون)
بقبضته على فكه بكلمة ساحقة ، اتسعت لها عيناه

عن آخرهما ، قبل أن يسقط فاقد الوعي ، والدماء
تنزف من فكه وكتفه في غزارة ، فهتف (شيمون)
في صرامة :

- أخرجوه من هنا .

أسرع رجال أمن السفارة ينفذون الأمر ، في حين
قال الطبيب في عصبية :

- إنه على حق .. إصابته تحتاج إلى إسعاف .

التفت إليه (شيمون) قائلاً في شراسة :

- فيما بعد .

وعدل رباط عنقه في عصبية واضحة ، مستطرداً :

- لدينا مهمة تفوقه أهمية الآن .

بذل جهداً حقيقياً للسيطرة على مشاعره ، قبل أن

يتابع في حزم :

- متى سيستعيد رجل المخابرات المصري وعيه

بالضبط !؟

أجابته الطبيب الإسرائيلي في توتر :

- في أية دقيقة الآن .. معذلاته الحيوية تحسنت كثيراً ، وتقرب من المعدلات الطبيعية ، وهذا يعني أن ..

قاطعته (شيمون) في صرامة ، وبلغته عربية مصرية :

- لا أريد معرفة التفاصيل .

ثم التفت نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

- المهم الآن أن يتذكر الكل تفاصيل الخطة ، وأن يتم التعامل معها بمنتهى الدقة ، وأقسم أن أقتل أول من يخطئ منكم ، أو أول من ..

قاطعته فجأة ذلك الرنين القصير لهاتفه ، فاتعقد حاجباه ، وهو يلتقطه في سرعة ، مغمغماً :

- من ذا الذي يرسل رسالة قصيرة ، في ظروف كهذه ؟!

ضغط أزرار الهاتف في سرعة ، ولم يكده يقرأ

الرسالة القصيرة ، التي حملتها شاشة الهاتف ، حتى امتزج حاجباه في عنف ، وسرت في جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وقلبه يغوص بين قدميه ..

« هل راقت لك الخدعة ؟! ا. ص .. »

وبكل غضب الدنيا ، هتف (شيمون) :

- إته هنا .

وكما فطنت منى ، حاول البحث عن رقم الهاتف ، الذي أرسل إليه تلك الرسالة القصيرة المستغزاة ..

ولكن الشاشة لم تكن تحمل أية أرقام ..

ويغضب أكثر ، كرر (شيمون) ، وهو يتلقت حوله :

- إته هنا .

نطقها بالعبرية ، في عمرة توتره ، فهتف به الطبيب :

- خطأ .

استدار إليه (شيمون) فى حدة ، صالحاً :

- اصمت ، وقم بعملك فحسب .

قال الطبيب فى عصبية :

- حديثك بالعبرية يفسد عملى أيضاً .

قال (شيمون) فى شراسة ، وهو يعيد هاتفه إلى جيبه :

- هناك ما هو أكثر خطورة على عمك أيها الطبيب .

ثم اندفع خارج المكان ، هاتفاً فى صرامة :

- أين قائد أمن السفارة ؟! أين (دونهام) ؟!

برز (دونهام) من خارج المكان ، وهو يقول فى هدوء :

- رهن إشارتك يا أنون (شيمون) .

أشار (شيمون) بيده ، وهو يقول فى توتر :

- (أدهم صبرى) هنا .

اتسعت عينا (دونهام) ، وهو يهتف :

- هنا ؟!

أجابه (شيمون) ، بكل الغضب والسخط :

- نعم .. هنا .. فى مكان ما هنا .. لقد أرسل إلى رسالة

ساخرة شامتة قصيرة ، عبر الهاتف المحمول ، على نحو يؤكد أنه يتابع الموقف من الداخل .

قال (دونهام) فى حذر :

- ربما كان فى الخارج ، و ...

قاطعته فى صرامة :

- كلاً .. إنه هنا .. لقد أرسل الرسالة ، فور تأكّدنا

من أن (جراهام) ليس زائفاً .

سأله (دونهام) فى اهتمام :

- ومن أثار فى ذهنك الشكوك يا أنون (شيمون) ،

حول هوية (جراهام) ؟!

الإيطالي ، الذي دخل السفارة .. أريد معرفة متى
غادرها ، ومن سيجل عملية خروجه .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى هتف الطبيب الإسرائيلي
في توتر ، وباللهجة المصرية الخالصة :
- إنه يستعيد وعيه .

توتر (شيمون) ، وهو يقول :

- يا للسخافة ! إنه لم يختر وقتاً مناسباً لهذا .

ثم عاد يمسك كتف (دونهام) في قوة ، قائلًا :

- اسمعني جيدًا يا رجل .. مهما حدث ، أريدك أن
تحمي هذا المكان .. لا أريد لأي مخلوق أن يقترب
منه ، مهما كان الثمن ، حتى تتم هذه العملية بسلام ..
النجاح والفشل هنا يعنيان مستقبل (إسرائيل) كلها ..
هل تفهم ؟! إنه مستقبلينا .

أجابته (دونهام) في حزم :

- اطمئن يا أدون (شيمون) .. سأحمي المكان
بحيقتي نفسها ، وسأمنع أي مخلوق من إفساد العملية ،
بأي ثمن كان .

لوح (شيمون) بنراعه ، مجيبًا في غضب :

- إنه ذلك المفتش الإيطالي السخيف الـ ..

بتر عبارته بقتة ، واتعدت حاجباه في شدة ، وهو
يمسك كتف (دونهام) فجأة في قوة ، هاتفًا :

- أين ذلك المفتش ؟! أين ذهب ؟!

أجابته (دونهام) في توتر :

- لست أدري .. لقد التقى بك ، و ..

قاطعته (شيمون) :

- هل شاهدته أحدكم يرحل من هنا ؟!

التقى حاجبا (دونهام) ، وهو يقول في حزم :

- دقيقة واحدة ، وأمنحك جوابًا قاطعًا .

التفت جهاز اللاسلكي ، ذا الموجة المحدودة وضغط

زر اتصاله ، قبل أن يقول عبره في صرامة :

- إلى كل الرجال في كل المواقع .. هنا القائد

(دونهام) .. أريد تقريرًا فوريًا عن مفتش الشرطة

قال (شيمون) فى حزم :

- هذا ما أنتظره منك .

لم يكذبَ عِبارته ، حتى ارتفع صوت أحد رجال
حراسة السفارة ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ،
الذى يحمله (دونهام) ، وهو يقول :

- أدون (دونهام) .. المفتش الإيطالى لم يغادر
السفارة أبداً .

انعقد حاجبنا (شيمون) فى شدة ، فى حين هتف
(دونهام) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- أنت واثق من هذا يا رجل !!

أجابه الرجل فى سرعة :

- سيارته ما زالت بالخارج خالية ، ولقد عثرنا على
معطفه ، فى الحمام الموجود بالطابق الأول ، حيث
التقى بأدون (شيمون) .

وإزداد انعقاد حاجبى (شيمون) فى شدة ..

فهذا كان يؤكد مخاوفه ، فى هذه اللحظات الحرجة ..

إن (أدهم صبرى) هنا ..

داخل السفارة الإسرائيلية ..

وهذا يعنى أيضاً أن العملية قد بلغت أخطر مراحلها ..

أخطرها على الإطلاق .

* * *



لم يكد ذلك الكهل الزائف ، الذي حمل (جراهام) خارج مبنى المراقبة ، يذلف إلى ذلك المنزل الآمن الخاص جداً ، الذي تدار منه أعمال المخابرات المصرية في (روما) ، حتى استقبل هاتفه المحمول رسالة قصيرة ، أعلنت عن وصولها برنين منقطع ، جعله يختطف هاتفه في سرعة ، وهو يقول للمقدم (سمير) ، مدير مكتب (روما) :

- الرسالة التي كنا ننتظرها .

هياً المقدم (سمير) من مقعده ، وهو يندفع نحوه ، هاتفاً :

- حقاً !!

وبلهفة حقيقية ، قرأ الاثنان الرسالة ، قبل أن يظهر عليهما الارتياح ، والمقدم (سمير) يقول :

- الخطة تسير بنجاح .

انتزع الآخر قناع الكهل الزائف عن وجهه ، وهو يقول في إعجاب :

- سيادة العميد (أدهم) عبقرى بحق .. إنه يمتلك قدرة مذهلة ، على استنباط ردود فعل الآخرين .

ابتسم المقدم (سمير) ، وهو يقول :

- لا تنس أن له باعاً طويلاً ، في هذا المضمار ، أيها الرائد .

لقى الرائد (معدوح) قناع الكهل جائباً ، وقال وهو يلقي جسده المجهد ، على أقرب مقعد إليه :

- ألم يكن من الأفضل أن نخبرنا بتفاصيل خطته .. حتى يمكننا القيام بدور أفضل فيها على الأقل !!

هزَّ المقدم (سمير) رأسه ، قائلاً :

- للمعرفة بقدر الحاجة أيها الرائد ، وسيادة العميد (أدهم) يخبرنا بما تتطلبه أوارنا فحسب ، تماماً

- هذا صحيح، ووفقاً لأوامره، لا بد أن نبلغ (القاهرة)
بكل التطورات، أولاً فأولاً.

أسبل الرائد (ممدوح) جفنيه، محاولاً الاسترخاء
في مقعده، وهو يقول:

- لا تنس استخدام قناة الإنترنت المؤمنة، والرسائل
الشفرية الخاصة.

ابتسم المقدم (سمير) مغمغماً:

- اطمئن.

جلس أمام جهاز الكمبيوتر، وراحت أصابعه تكتب
الرسالة، التي طلب (أدهم) إرسالها إلى (القاهرة)،
قبل أن يستخدم برنامجاً خاصاً لتشفيرها، وهو يقول
بابتسامة وثقة:

- الأمريكيون منحوا أنفسهم حق التجسس، على
كل الاتصالات، عبر شبكة الإنترنت، منذ أحداث
سبتمبر ٢٠٠١م بحجة الحرب ضد الإرهاب الدولي^(١٥)،

(*) حقيقة ..

مثلما حدد لك الموعد، الذي ينبغي أن تتواجد فيه،
عند مبنى المراقبة.

وافقه الرائد (ممدوح) بإيماءة من رأسه، وقال:

- بالضبط، ولكن ما يدهشني حقاً هو كيف علم
بما حدث داخل المبنى؟! وكيف حدد الموعد المناسب،
لإبعاد رجل المخابرات الإسرائيلي، قبل وصول رجال
الشرطة الإيطالية!؟

ضحك المقدم (سمير)، قائلاً:

- أحياناً أتصور أن سيادة العميد (أدهم) يعرف
كل شيء.

مرة أخرى، وافقه الرائد (ممدوح) بإيماءة من
رأسه، قائلاً في انبهار:

- إنه أسطورة بحق.

اتجه المقدم (سمير) نحو جهاز الكمبيوتر في
الركن، وهو يقول:

ولكن هذا البرنامج ، الذى ابتكره عقل مصرى
عبقرى ، يجعل الرسائل المتبادلة ، بيننا وبين
(القاهرة) ، عبر شبكة الإنترنت ، تبدو أشبه
بمحاورات طفولية عابثة ، بين اثنين من المراهقين .
غمغم الرائد (ممدوح) :

- كل جهاز أمنى ، مهما بلغ إحكامه ، يحوى ثغرة ما .
انتهى المقدم (سمير) من كتابة رسالته ، ثم ضغط
زر إرسالها ، وهو يقول :
- هذا صحيح .

تراجع فى مقعده ، بتابع إشارة الإرسال ، و ..
وفجأة ، ظهرت رسالة تحذيرية خاصة على الشاشة ..
رسالة لم يكده المقدم (سمير) يلمحها ، حتى هبأ
من مقعده ، هاتفاً :

- يا إلهى !
هتافه جعل الرائد (ممدوح) يقفز من مقعده ،
متسائلاً فى توتر :
- ماذا حدث ؟

أشار المقدم (سمير) إلى الرسالة التحذيرية على
الشاشة ، وهو يقول فى توتر بالغ :
- الأمريكيون اخترقوا موقعنا المؤمن .

اتسعت عيننا (ممدوح) عن آخرهما ، وهو يهتف :
- رياه ! هل تعنى أن رسالتنا المشفرة قد وقعت
فى قبضتهم ؟!

أوما المقدم (سمير) برأسه إيجابياً فى شحوب ،
فتابع الرائد (ممدوح) فى توتر :

- يا إلهى ! لو أن تكنولوجياهم المتطورة نجحت فى
حل شفرتها ، فمن المؤكد أنهم سيبلغون الإسرائيليون
بمضمونها فوراً .

شحب وجه المقدم (سمير) وهو يقول :
- وهذا يعنى أن سيادة العميد (أدهم) سيصبح
فى خطر داهم رهيب .

رئد الرائد (ممدوح) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

فوق تلك الرسالة المشفرة، في قبضة الإسرائيليين،
قد يحمل لـ (أدهم) كارثة ..
كارثة رهيبية ..

* * *

تحرك (دونهام) في نشاط جم، عبر أروقة السفارة
الإسرائيلية في (روما) وهو يشير إلى رجاله، قائلاً
بمنتهى الصرامة :

- ابحثوا في كل مكان .. حتى مكتب السفير نفسه ..
لا تستثنوا أحداً .. افحصوا كل شخص، وتأكدوا من
أنه لا يخفى وجهها آخر، تحت قناع يشبه أحد
المأوفين هنا .

قال سكرتير أول السفارة في عصبية :

- هذا يعني أن الجميع هنا مشتبّه فيهم .

أجابته (دونهام) بنفس الصرامة :

- الرجل الذي نبحث عنه، يمكنه أن ينتحل أية
شخصية يشاء .

لوح سكرتير أول السفارة بيده، قائلاً في حدة :
- لا أحد يمكنه أن ينتحل شخصية ما، بحيث تعجز
العين الفاحصة عن كشف أمره .

اتجه (دونهام) نحو مكتبه مباشرة، وهو يقول
في حزم :

- هذا الرجل استثناء من كل القواعد .

انعد حجبها السكرتير الأول في غضب، عندما
رأى (دونهام) يغلق مكتب الأمن في إحكام، وقال
في عصبية :

- قلت : إنه لا استثناءات، وهأنت ذا تغلق مكتبك،
في وجه رجال الأمن .

ابتسم (دونهام) في سخرية، وهو يقول :

- مكتبي هذا يحوى كل أسرار السفارة، وكل نظم
الأمن السرية، ومهمتى أن أمنع أي مخلوق من
الوصول إليه .

ثم استدار ، يقول لأحد رجال الأمن ، بلهجة أمرة صارمة :

- احرس هذا المكتب جيدًا ، وامنع أى مخلوق من الاقتراب منه ، مهما كانت الأسباب ، وإذا ما حاول بعضهم اقتحام المكتب عنوة ، أو حتى اعترض على وجودك لحراسته ، أو على إغلاقه فى وجه الجميع ..

صمت لحظة ، ثم التفت إلى سكرتير أول السفارة ، مكملاً :

- أطلق النار عليه فوراً .

احتقن وجه السكرتير ، وهو يقول فى حدة :

- سأشكو موقفك هذا للسفير نفسه .

أجابته (دونهام) بنفس الصرامة الساخرة :

- فكرة جيدة ، وبمناسبة ذهابك إلى مكتب السفير ،

الأفضل أن تصطحب أحد رجال الأمن .

وبدا شامتاً ، وهو يضيف :

- ليتأكد من هوية السفير على الأقل .

اتسعت عيننا سكرتير أول السفارة فى دهشة مستتكرة ، ولكن (دونهام) تجاهله تمامًا ، وهو يواصل حركته النشطة فى المكان ، وملقياً أوامره لرجال الأمن هنا وهناك ، حتى اطمأن تمامًا إلى أن مبنى السفارة قد تحول إلى حصن حصين ، قبل أن يتجه إلى القبو مباشرة ، وقال لرجال الأمن هناك فى حزم :

- لا أريد أن يدخل أو يخرج مخلوق واحد من هنا ، دون أوامر مباشرة منى .

قالها ، ودلف إلى القبو ، متجهًا إلى القطاع الطبى الخاص ، وما إن لمح (شيمون) داخل حجرة العناية المركزة ، حتى اتجه نحوه ، وهمس فى أذنه ، بلهجة مصرية واضحة :

- كل شىء على ما يرام .

همس (شيمون) فى توتر :

- هل عثرتم عليه ؟

هزّ (دونهام) رأسه نقيًا ، وهو يقول :

- ليس بعد .

استدار إليه (شيمون) ، بعينين اشتعلتا غضبًا ، فتابع في سرعة :

- ولكنه لن يستطيع الوصول إلى هنا ، إلا لو تنكّر في هيئة جرثومة .

همس (شيمون) في حدة :

- هل تعرف ما الذي يمكن أن يحدث ، لو نجح (أدهم) في الوصول إلى هنا ، قبل أن ننتزع السر من زميله ؟

أجابته (دونهام) بمنتهى الثقة :

- اطمئن يا أدون (شيمون) .. اطمئن .

استدار (شيمون) يتطلّع إلى (عماد) ، الذي بدأ يتململ في رقادته ، وقال في توتر ، لم يستطع كتمته :

- لن أطمئن ، حتى تنتهي هذه العملية .

ابتسم (دونهام) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا أدون (شيمون) .. بالتأكيد .

في نفس اللحظة ، التي انتهت فيها عبارته ، فتح (عماد) عينيه ، مغمغماً في إرهاق واضح :

- أين أنا !؟

والثقل (شيمون) نفسًا عميقًا ، قبل أن يرسم ابتسامة ودودًا على شفثيه ، ويتقدّم نحو (عماد) ، ثم برّبت على كتفه ، قائلاً باللهجة المصرية :

- حمدًا لله على سلامتكم يا رجل .. أنت في وطنك .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- في (مصر) ..

هتف (عماد) في ارتياح غامر ، على الرغم من ضعفه وتهالكه :

- في (مصر) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

واتسعت ابتسامته (شيمون) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

راجع مدير المخبرات العامة المصرية ، للمرة الثالثة ، تلك الرسالة المشفرة ، التي تم إرسالها عبر شبكة الإنترنت ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغماً :

- مدهش هو (ن - ا) هذا .

ثم رفع رأسه إلى مساعده الأول ، مستظرداً بإبتسامة هادئة :

- لا أحد يمكنه أن يتوقع ما يفعله أبداً .

قال المساعد الأول في قلق :

- المشكلة أن الأمريكيين قد نجحوا في اختراق نظام تأمين قناة اتصالاتنا السرية ، عبر شبكة الإنترنت ، وهذا يعنى أن لديهم الآن نسخة من هذه الرسالة .

١٩٤

تراجع المدير فى مقعده ، قائلاً :

- المهم أن يفهموا محتواها .

أشار المساعد الثانى بسبابته ، وهو يقول فى قلق أكثر :

- التكنولوجيا الأمريكية متطورة للغاية يا سيدى ، والحظر الذى يضعونه ، على تصدير التكنولوجيا ، يجعلنا نعتقد أن باستطاعتهم حل شفرة الرسالة ، خلال نصف الساعة على الأكثر .

التقى حاجبا المدير ، وهو يقول :

- أهذا رأى الخبراء ؟

أجابته المساعد الأول فى أسف :

- أجل يا سيادة المدير .

حكَّ المدير ذقته ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى بطء :

- الرسالة لا تحمل معلومات بالغة الخطورة ، ولكن فهم محتواها سيكشف موقف (ن - ا) الحالى .

١٩٥

قال المساعد الثاني في سرعة :

- هذا في حد ذاته ، يمثل خطراً رهيباً ، على سيادة العميد (أدهم) .

ازداد انعقاد حاجبي المدير ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويتجه نحو نافذة حجرته الكبيرة ، التي وقف أمامها بعض الوقت في صمت ، عاقداً كفيه خلف ظهره ، قبل أن يقول في حزم ، دون أن يلتفت إلى مساعديه :

- ينبغي أن يجد الخبراء وسيلة أخرى ، بخلاف قنوات شبكة الإنترنت المؤمنة ، ما دام الأمريكيون قد وجدوا سبيلهم إليها .

تبادل المساعدان نظرة صامتة ، قبل أن يقول الأول :

- إنهم يعكفون على هذا بالفعل يا سيادة المدير ، ويقولون إنهم كانوا يتوقعون ما حدث ، لذا فقد أوجدوا ثلاث قنوات سرية احتياطية ، تبدو بريئة المظهر تماماً ، لتبادل الرسائل المشفرة والمعلومات العاجلة ، حتى يتم تأمين الوسيلة الجديدة .

أوما المدير برأسه متفهماً ، وقال :

- التطورات الأخيرة كشفت الطبيعة الحقيقية للإدارة الأمريكية ؛ فهم يتشددون يوماً بالحرية والمساواة ، ويتمادون في هذا ، حتى إنهم يمنحون أنفسهم الحق في مهاجمة الدول الأخرى ، التي لا تطبق قواعد الحرية والديموقراطية ، من وجهة نظرهم ، وعندما تعلق الأمر بهم ، داسوا كل هذا بأقدامهم ، وانتهكوا حرية العالم كله ، في سبيل مصالحهم الشخصية .

عاد المساعدان يتبادلان نظرة صامتة ، قبل أن يتحجج أحدهم في حرج ، ويقول في حذر :

- سيدي .. كنا نتحدث عن سيادة العميد (أدهم) ، وموقفه الحرج هناك .. في (روما) .

صمت المدير طويلاً ، وهو يواصل التطلع عبر نافذة حجرة مكتبه ، المطلّة على فناء مبنى جهاز المخابرات العامة ، قبل أن يجيب في حزم صارم :

- (ن - ١) محترف ، ويعرف كيف يواجه موقفاً كهذا .

تحتاج المساعد الآخر ، قائلاً :

- لو أن الأمريكيين يمتلكون التكنولوجيا التي يتوقعها الخبراء ، فسيكشفون مغزى الرسالة ، خلال أقل من ثلاثين دقيقة من الآن ، وسيبلغون الإسرائيليين بأمرها ، بعد عشر دقائق أخرى على الأكثر .

أكمل المساعد الأول في توتر :

- ولو افترضنا أن الإسرائيليين سيتأكدون من أهمية الرسالة أولاً ، قبل إبلاغ (شيمون) في (روما) ، فهذا يعني أن هذا يحتاج إلى خمس دقائق أخرى .

التقط المدير نفساً عميقاً ، قبل أن يقول في حزم :

- هذا يعني أن أمام (ن - ١) خمسة وأربعين دقيقة .

ثم التفت إلى مساعديه ، مستطرداً في صرامة :

- وبالنسبة لرجل مثله ، هذا أكثر مما يحتاج إليه بالفعل .

اندفع المساعد الثاني يقول :

- لو لم ينكشف أمره قبلها .

وعاد حاجبها المنير ينعقدان بمنتهى الشدة ..

فهذا هو الأمر الوحيد ، الذي يضع (أدهم) في موقف خطير رهيب بالفعل ..

أن ينكشف أمره ..

ولكن السؤال الفعلي هو : أين (أدهم صبرى) الآن بالضبط ؟!

أهو داخل السفارة الإسرائيلية في (روما) أم خارجها ؟!

ولو أنه داخلها فمن هو بالضبط ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

« من أنت بالضبط يا (أشرف) ؟! »

ألقت (منى) السؤال في توتر ، وعيناها تفحصان

وجه (أشرف) فى اهتمام شديد وهو يجيب بابتسامة هادئة :

- لقد أخبرتك يا سيادة المقدم .. اسمى (أشرف صالح) ، وأنا أحد مندوبى المخابرات المصرية هنا ، و ...

قاطعته فى حزم :

- ولماذا حرفا الألف والصاد ؟؟

رفع حاجبيه فى دهشة ، بدت لها ، لسبب ما ، مفتعلة للغاية ، وهو يقول :

- وماذا عنهما ؟؟

حاولت أن تجيب سؤاله ، إلا أن عينيه ، اللتين تتطلعان إلى عينيها مباشرة ، جعلتاها تشيح بوجهها ، مغممة :

- مجرد سؤال .

ثم لوحت بيدها ، مستطردة فى حدة ، عبرت عن التوتر فى أعماقها :

- هل سنكتفى بالوقوف هنا ، وانتظار ما ستسفر عنه الأحداث فى الداخل ؟؟

هز رأسه فى بطء ، مجيباً :

- كلاً بالطبع .

ثم مال نحوها ، مضيئاً فى هدوء :

- أنا رهن إشارتك ؛ باعتبارك القائد هنا .

فوجئت برد فعله هذا ، وكأنها لم تكن تنتظره أو تتوقعه ، فبدلت جهداً خرافياً ؛ للسيطرة على نفسها ، وشدت قاسمها فى اعتدال ، قللة بحزم وصرامة القيادة :
- سنقوم بدورة ، حول مبنى السفارة لدراسة الموقف الأمنى الجديد ، و ...

بترت عبارتها بقعة ، وهى تحنق فى مبنى السفارة ، على نحو جعله يلتفت إلى حيث تنظر ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ..

فهناك ، أعلى البوابة الرئيسية للسفارة ، كانت هناك آلة مراقبة ، تدور لترصد كل ما يحيط بها ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، كانت آلة المراقبة مركزة
عليهما مباشرة ..

وكان هذا يعنى أنه هناك من يراقبهما فى اهتمام ،
من داخل السفارة الاسرائيلية نفسها ..

والسؤال هو : منذ متى ؟!

منذ متى تتم مراقبتهما ؟!

ولم يطل بهما الوقت ، للحصول على الجواب ..

ففى نفس اللحظة تقريباً ، التى كشا فيها أمر
المراقبة ، انفتح الباب المجاور للبوابة الرئيسية ،
وخرجت منه ثلاث دراجات آلية ، يمتطى كلاً منها
رجل أمن إسرائيلى مسلح ..

وعلى الرغم من أن هذا لا يتفق قط ، مع كل
القوانين والأعراف الدولية ، فقد انطلق راكبوا
الدراجات الآلية نحوهما مباشرة ..

وأخرج كل منهم مسدسه ..

وفى سرعة مدهشة ، جنب (أشرف) (منى) ، هتافاً :
- احترسى .

ومع هتافه ، انتهالت عليهما الرصاصات ..
رصاصات صامتة ، انطلقت عبر كواتم الصوت ،
المزودة بها مسدسات الإسرائيليين ..

وفى اللحظة المناسبة تماماً ، وبجذبة قوية من يد
(أشرف) ، انحنت (منى) ، لتتجاوزها الرصاصات
الصامتة بسننيمترات قليلة ..

ولكن إحدى الرصاصات أصابت خزان دراجتها الآلية ..
واشتعل خزان الدراجة لحظة واحدة ..
ثم دوى الانفجار ..

اتفجرت دراجة (منى) الآلية ، على مسافة متر
واحد منها ، ومن (أشرف) ..

ومع عنف الانفجار ، طار جسد (منى) عالياً ،
ليرتطم بجسد (أشرف) ويسقط كلاهما أرضاً ، فى

نفس اللحظة التي أحاطت بهما فيها ، دراجات رجال
الأمن الإسرائيليين الثلاثة ..

وفي لحظة واحدة ، وعلى مسافة أمتار قليلة من
مبنى السفارة الإسرائيلية ، وفي تحدٍ سافر للسيادة
الإيطالية ، ارتفعت فوهات المدفعات الثلاثة نحو
(أشرف) و (منى) ، في عرض الطريق ، و ..
وابتسم الموت ..

في ظفر .

* * *



٢٠٥



ومع عنف الانفجار ، طار جسد (منى) عاليًا ، ليرتطم
بجسد (أشرف) ويسقط كلاهما أرضًا ..

٨ - الحقيقة ..

لم يكد الهاتف الخاص بمستر (x) يطلق رنينه ،
حتى التقطه هذا الأخير في سرعة ، ووضعه على
أذنه ، قائلاً في صرامة :
- كلى أذان مصغية .

أتاه صوت عميله في (باريس) ، وهو يقول في
سرعة :

- كل شيء على ما يرام أيها الزعيم .

اعتدل مستر (x) في مقعده ، وهو يسأله في
اهتمام :

- هل راقبت (لورا) جيداً ؟!

أجابه الرجل :

- بالطبع أيها الزعيم .. لقد غادرت منزلها ، وهي
تحمل حقيبة سفر واحدة كبيرة ، واستقلت سيارتها

الخاصة ، التي حملتها إلى المطار ، للحاق بطائرة
(روما) .

سأله مستر (x) :

- وهل كانت وحدها ؟!

أجابه الرجل بالإيجاب ، فسأله في صرامة شديدة :

- أنت واثق ؟!

أتاه الجواب في سرعة وحسم :

- تمام الثقة .

صمت مستر (x) بضع لحظات ، قبل أن يسأله :

- هل عدت لفحص منزلها ؟!

أجابه الرجل :

- لقد فعلت كل ما أمرتني به أيها الزعيم ، وتسلمت

إلى منزلها ، مستخدماً الأرقام السرية التي أخبرتني

بها ، لتجاوز نظم الإنذار والأمن هناك ، وكانت كلها

صحيحة تماماً .

وصمت فجأة ، ليسأل في اتبهار :

- كيف تعرف كل هذه الأمور أيها الزعيم !؟

صاح به مستر (x) ، في غضب صارم :

- ماذا وجدت داخل المنزل !؟

ارتبك الرجل ، وهو يجيب في سرعة :

- صندوق التحكم الكهربى كان شبه تالف بالفعل ،
وتحيط به آثار حريق محدود .

انعقد حاجبا مستر (x) في شدة ، وهو يسأله :

- هل تأكدت من كل شيء بنفسك !؟

أجاب الرجل مخلصا :

- بالطبع أيها الزعيم .. صندوق التحكم الكهربى

تم إصلاحه بأسلوب بدائى ، ولكنه ما زال يحتاج إلى
تغيير كامل .

ترجع مستر (x) في مقعده ، وهو يفكر في عمق ، حتى
إن عميله الباريسى قد شعر بالقلق ، وتساءل في حذر :

- أمازلت هنا أيها الزعيم !؟

أجابه مستر (x) ، في اقتضاب وخشونة :

- نعم .. مازلت هنا .

ثم عاد يعتدل بحركة حادة ، مستطرده بلهجة أمرة
صارمة :

- فليكن يارجل .. قم بزرع أجهزة التنصت

والمراقبة ، فى كل الأماكن التى أخبرتك بها ، ثم

غادر المنزل ، بعد إعادة تشغيل وسائل الأمن مرة

أخرى .. إياك أن تنسى هذا .. هل تفهم !؟

التقط الرجل نفسا عميقا ، قبل أن يقول فى

حماسة :

- اطمئن أيها الزعيم .

أنهى مستر (x) الاتصال ، وتراجع مرة أخرى فى

مقعده ، وكل لرة فى كيانه تنهمك فى تفكير عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

فما حدث ، فى أثناء اتصاله الأخير مع (لورا) ،

لم يكن قد فارق ذهنه بعد ..

ولم يجد قبولاً لديه أبداً .

ربما كانت تحرياته تؤكد قصة (لورا) ..

ولكن (لورا) نفسها لم تكن طبيعية ، عندما عاودت الاتصال ..

لم تكن طبيعية أبداً ..

وهو خبير في مثل هذه الأمور ..

خبير إلى درجة لا يتصورها أحد ..

وهذا وحده سر زعامته لمنظمة كبرى كهذه ..

وسر نجاحه في القيام بكل هذه العمليات بالغة الخطورة ، دون أن ينكشف أمره ..

أو حتى يعانى من خطر حدوث هذا ..

التكنولوجيا الفائقة التي يستخدمها ، تؤمن اتصالاته تماماً ..

حتى الأمريكيين ، بوسائلهم المتطورة ، لا يمكنهم كشف موقعه أبداً ، مهما حاولوا أو فعلوا ..

هذا ما يتق به تماماً ..

وهو حذر ، إلى درجة لا يمكن أن يتصورها مخلوق واحد ..

حذر إلى درجة الاستعداد لقتل أى مخلوق ، ومحوه من الوجود تماماً ، لو شك لحظة واحدة ، فى أنه من الممكن أن يهدد وجوده .

ومع ما يشعر به من قلق ، كان أسهل ما يمكن أن يفعله ، هو أن يصدر قراره بقتل (لورا كيلرمان) فوراً ..

ولكن الحذر نفسه منعه من اتخاذ مثل هذا القرار ..

فلا بد أن يعرف أولاً ماذا هناك ؟!

لماذا كانت مضطربة ومتوترة إلى هذا الحد ، عندما عاودت الاتصال به ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وبقدرة مدهشة ، يندر أن تتوافر لبشرى ، أفنح عقله

وجسده بالاسترخاء في مقعده ، وأغلق عينيه ، وهو يرسم في ذهنه صورة لما لم تره عيناه ، في أثناء اتصاله الأخير بها ..

ومع اعتصار ذهنه ، لم يحصل سوى على صورة واحدة ..

صورة مسدس ، مصوب إلى رأس (لورا) ، خارج نطاق رؤية جهاز الاتصال المرئي ..

ومع كل ثانية تمضي ، كانت الصورة تتضح أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعندما فتح مستر (x) عينيه أخيراً ، كانت الصورة قد اتضحت تماماً في خياله ..

وتألفت عيناه على نحو عجيب ..

تألفت ببريق رهيب ..

مخيف ..

وحشي ..

وفي هدوء عجيب ، لا يتفق قط مع لشراسة الرهيبة ، التي ارتسمت على ملامحه كلها ، النقط هاتفه الخاص ، المجهز للاتصال عبر الأقمار الصناعية ، وضغط زراره ، ثم قال في حزم صارم :

- (ألبرتو) .. أنا الزعيم .. اسمعني جيداً .

وعادت عيناه تتألقان ، وهو يتابع :

- (لورا كيلرمان) ستصل إلى (روما) ، خلال ساعة واحدة على الأكثر ، وفور وصولها ، أريدك أن تفعل ما سأخبرك به بالضبط .

وراح يلقي أوامره لعميله في (روما) ..

ويضع خطة جديدة ..

خطة ، لم يدر هو نفسه ، كم سيكون لها من أثر ، على منظمته كلها ..

بل على العالم ..

العالم أجمع ..

ويلا استثناء ..

استعاد عقل (عماد) صقاه في بطنه ، وهو يتطلع
: (شيمون) ، الذي حافظ على ايتسامته الودود ،
وهو يقول :

- حمدا لله على سلامتكم يا بطل .

سأله (عماد) في حذر :

- من أنت بالضبط ؟!

مال (شيمون) نحوه ، وهو يقول بلهجته المصرية :

- اطمئن يا بطل .. كلانا يعمل في فريق واحد .

قال (عماد) في بطنه ، وهو يتفحص ملامحه جيدا :

- يلوح لي أنني قد رأيتك من قبل ، ولكنني لست

أذكر من أنت بالضبط ؟!

أجاب (شيمون) في هدوء :

- اسمي (عبد الرحمن) .. مندوب من رئاسة

الجمهورية ، وأنا هنا منذ أخبرونا أنك على وشك

استعادة وعيك .

شعر (عماد) بالآلام تنتشر في جسده كله ، وبصداع
عنيف يكتنف رأسه ، وهو يسأل في حذر غريزي ،
يتميز به كل رجل مخبرات محترف :

- أين أنا بالضبط ؟!

أجاب الطبيب الإسرائيلي ، بلهجته المصرية :

- أنت هنا ، في مستشفى القوات المسلحة ، في

حي (المعادي) .

سأله (عماد) ، بنفس الحذر الغريزي :

- أيعنى هذا أنه باستطاعى رؤية النيل من هنا ؟!

ابتسم الطبيب ، مجيبا :

- كلا بالطبع .. إنك ترقد داخل حجرة العناية المركزة ،

ولا يمكن فتح النوافذ لحظة واحدة ، حرصا على

التعقيم الصحي في المكان .

تطلع إليه (عماد) بشيء من الشك ، فأطلق

(شيمون) ضحكة هادئة ، وهو يقول :

- عظيم يا رجل .. تتصرف كمحترف حقيقي .

ثم اتجه إلى تلفاز مرتفع ، وضغط زر تشغيله ،
مستطرداً :

- ولكن اطمئن .. إنك بالفعل في وطنك .

اشتعل التلفاز ، وراح يبث نشرة أخبار مصرية
خالصة ، تم تسجيلها وإعدادها مسبقاً ، في حين التقط
(شيمون) جريدة مصرية ، ناول (عماد) إياها ،
متابعاً بلفس الابتسامه :

- أيكفيك هذا ؟!

لقى (عماد) نظرة على الجريدة ، وأخرى على
شاشة التلفاز ، قبل أن يسأل في حذر أكثر :

- ولماذا لم يتم نقلى إلى المستشفى التابع لجهاز
المخابرات مباشرة .

هز (شيمون) كتفيه ، قائلاً :

- لست أدرى .. لم يخبرنى أحد لماذا أتوا بك إلى
هنا .. كل ما علمته هو أنك هنا ، وأنه من الضرورى
أن نخبرنا أين أخفيت تلك البطاقة .

سأله (عماد) ، بكل حذر الدنيا :

- أية بطاقة ؟!

أجابته (شيمون) فى بساطة :

- بطاقة تسجيل الصور الرقمية .. لقد التقطت صور
تلك الأوراق .. أليس كذلك ؟!

التقى حاجبا (عماد) ، وهو يتطلع إلى الأطباء
والممرضات فى الحجرة بتوتر ، فاعتدل (شيمون) ،
قائلاً :

- آه .. أنت على حق .

ثم قال لكبير الأطباء فى صرامة أمره .

- اتركونا وحدنا .

اتصرف الجميع على الفور ، وقال كبير الأطباء ،
قبل أن يفتح باب الحجرة خلفه :

- سنكون بالخارج .. اضغطوا الجرس ، لو احتجتم

إلينا .

ولم يكذب (شيمون) مقعداً ،
وجلس إلى جوار فراش (عماد) ، وهو يسأله في
اهتمام :

- لقد التقطت صور أوراق الإسرائيليين .. نحن
نعلم هذا ، ولكننا لم نعثر على بطاقة تسجيل الصور
الرقمية أبداً .

شيء ما في أعماق (عماد) ، كان يشعر بحذر زائد ،
إلا أنه عاد يتطلع إلى الجريدة المصرية ، ونشرة
الأخبار في التلفاز ، وأدار بصره في المكان ، وقرأ
بعض اللوحات الإرشادية العربية ، قبل أن يقول :

- لم يكن من الممكن أبداً أن أتركها لهم .. كان
من الضروري أن تصل الصور إلى هنا بأي ثمن .

رَبَّتْ (شيمون) على كتفه ، قائلاً :
- تفكير رائع بحق .

تابع (عماد) ، وكأنه لم يسمعه :

- لقد التقطت الصور بسرعة ، ثم انتزعت بطاقة
تسجيل الصور الرقمية ، و ..

سأله (شيمون) في لهفة ، لم يستطع كتمانها :
- وماذا !؟

تطلع إليه (عماد) ، وقد استعاد حذره وتوتره ،
فأجبر (شيمون) نفسه على الابتسامة ، وهو يقول :

- أنت تعلم مايمثله هذا من أهمية ، في ظل الظروف
الدولية المشتعلة هذه الأيام .

سعل (عماد) مرتين ، قبل أن يومئ برأسه متفهِّماً ،
وهو يغمغم في ضعف وألم :

- نعم .. أعلم هذا .

والتقط نفساً عميقاً ، ثم أسبل جفنيه في تهالك ،
فعاد (شيمون) يربّت على كتفه ، قائلاً :

- هيا يا بطل .. أخبرني أين أخفيت بطاقة التسجيل
الرقمية لا بد أن يتوصل إليها رجالنا ، قبل أن يفعل
الإسرائيليون هذا ، ونخسر كل شيء .

أقتعته العبارة الأخيرة ، وأزالت من نفسه كل أثر
للتوتر والتردد ، فالتقط (عماد) نفساً عميقاً ، وقال :
- فليكن .. سأخبرك أين وكيف أخفيتها .

وبذل (شيمون) جهداً خارقاً بحق ، ليمنع نفسه
من الصراخ ظفراً ، وليطفىء بريقاً كاد ينبعث من
عينيه ، ليضىء الحجرة كلها .

فبعد دقيقة واحدة ، وبعد جملة واحدة ينطق بها
(عماد) سيحقق للإسرائيليين النصر ، في هذه العملية ..
النصر الكامل .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثانى بحمد الله
وبليه الجزء الثالث والآخر بإذن الله

[الورقة الأخيرة]

www.lilas.com/vb3

^RAYAHEEN^

مع تحيات منتدى ليلاس